يوميات آخر البشر

اسم الكتاب: **يوميات آخر البشر**

اسم المؤلف: **د. نبيل فاروق**

تدقيق لغوي: **مكرم تادرس**

تحرير: **هاجر جابر**

تصميم الغلاف: **Sandoby**

تنسيق داخلي: **مينا تادرس**

رقم الإيداع: **٢٠٢١/٣٠٢٠**

الترقيم الدولي : **٩٧٨٩٧٧٦٨٢٩٧٩٤**

جميع الحقوق محفوظة للناشر©

أى اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يعرض صاحبه للمسائلة القانونية والآراء والمادة الواردة.
وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالكاتب فقط لا غير.

إبهار
للنشر و التوزيع

E-mail: ebharpuplishing@gmail.com

تليفون: ٠١٠٦٠٢٦٧٤٠١

د. نبيل فاروق

مجموعة قصصية

يوميات آخر البشر

إبحار
للنشر و التوزيع

إهـداء

إلى جموع القراء والمتابعين، أصحاب الفضل بعد الله - سبحانه وتعالى - فيما وصلت إليه.

د. نبيل فاروق

نادي

(قصة كاملة من الخيال العلمي)

ثلاث سنوات كاملة قضتها سفينة الفضاء المصرية (فضاء – ٦) في رحلة عبر النجوم والمجرات قبل أن تعود إلى كوكب الأرض في نهاية الرحلة.

أخيرًا لاح كوكب الأرض بعد ثلاث سنوات من الانطلاق في الفضاء بسرعة تقارب سرعة الضوء..

ولم تكد أجهزة المراقبة الآلية في السفينة تلتقط صورة كوكب الأرض حتى أرسلت إشارة خاصة إلى أجهزة السبات الصناعي في كابينة القيادة، فبدأت تلك الأجهزة الأخيرة في أداء عملها طبقًا لبرنامجها المُعدّ مسبقًا لإيقاظ ملاح السفينة الوحيد أكرم بعد سبات صناعي طويل استغرق سنة ونصف، أي ما يوازي

نصف عمر الرحلة تقريبًا، وهذا ما تؤكده كل الأرقام الرسمية بالسفينة..

وبدأت أجهزة الإيقاظ عملها، فتسللت إلى الأسطوانة الزجاجية التي يرقد داخلها أكرم، أبخرة وردية لم تلبث أن أحاطت بالجسد الصامت الساكن، ثم راحت شاشة خاصة ترسم تخطيطًا للجسد ومنحنيات رسم قلبية ومخية له، وبدأت عملية تدليك وإنعاش صناعية على أعلى مستوى من التقدم والتكنولوجيا..

وفي بطء راحت نبضات قلب أكرم ترتفع، وراح عقله يرسم إشارات واضحة جيدة تؤكد أن العقل سليم معافى، والقلب ينبض بكفاءة ممتازة، ثم انسحبت الأبخرة الوردية وتراجعت الأسطوانة الزجاجية، وفتح أكرم عينيه، فتحهما في بطء وظل يحدق في سقف كابينة القيادة، ثم لم يلبث أن نهض من رُقاده الطويل وجلس يدلّك ساقيه وذراعيه في رفق قبل أن يبتسم قائلًا:

- يبدو أننا قد اقتربنا من نهاية الرحلة.

نهض في نشاط ملحوظ لا يتناسب مع شخص قضى عامًا ونصفًا من الرقاد، وجلس على مقعد يواجه نافذة الكابينة الضخمة، والتقط ميكروفونًا صغيرًا وهو يتطلع إلى كوكب الأرض الذي يقترب في بطء وقال:

- هنا كابتن أكرم توفيق، رائد فضاء مصري على متن (فضاء – ٦)، كل شيء يسير على ما يرام، لقد أيقظتني الآلات في الوقت المحدد تمامًا، ومن الواضح أن التدليك الصناعي كان يتم بصفة دورية منتظمة طوال فترة السبات الصناعي، فكل عضلاتي تشعر بالنشاط والحيوية، والمفروض - طبقًا للساعة الفضائية المعلقة أمامي - أن رحلتي قد استغرقت ثلاث سنوات بسرعة تقارب سرعة الضوء، وهذا يعني ما يقارب ثلاث سنوات ضوئية.

وتنهد في عمق وهو يلقي نظرة أخرى على كوكب الأرض قبل أن يستطرد:

- ما زلت أذكر يوم الانطلاق كما لو كان أمس! كنا في التاسع من يناير عام ألفين ومائة وتسعة وثمانين، وكنت المتطوع الوحيد

لرحلة النجوم التي ستثبت - لأول مرة - صحة نظرية أينشتين عن السفر بسرعة الضوء.

ابتسم وهو يستعيد الذكرى ثم تابع:

- المفروض - طبقًا لهذه النظرية القديمة - أن السنوات الثلاث التي قضيتها في رحلتي بسرعة تقارب سرعة الضوء تساوي ما يقارب من قرن ونصف من عمر الأرض، أي أنني أعود الآن إلى الأرض بعد مائة وخمسين عامًا من لحظة انطلاقي، كل شيء تغير حتمًا، أنا واثق أنني سأجد عند هبوطي تكنولوجيا فائقة متطورة ستذهلني بالتأكيد.

اتسعت ابتسامته وشرد ببصره وهو يكمل:

- ولكنني سأكون البطل، سيستقبلونني حتمًا استقبال الأبطال، فانا أول رائد فضاء يستغرق كل هذا الزمن في رحلته.

أغلق عينيه وراح يحلم بالاستقبالات الرائعة والمقابلات الهولوفيزيونية، ويحلم بالمستقبل المبهر للأرض، ذلك المستقبل الذي يتشوق لرؤيته.

لقد ترك الأرض في عصر متقدم بالفعل، عصر يستخدم المركبات الطائرة وأجهزة الاتصال الليزرية والمباني المتنقلة وغيرها..

فما الذي سيجده الآن؟!

أي تطور بلغته الأرض في قرن ونصف القرن؟

حاول أن يتصور ما سيجده على الأرض بخياله، ولكنه عجز عن ذلك، فهز رأسه وهو يبتسم قائلًا:

- سيكون تطورًا يفوق ما يمكنني أن أتخيله حتمًا.

كان كوكب الأرض يقترب أكثر وأكثر، فاعتدل أكرم وراح يفحص أجهزة سفينته ليتأكد من صلاحيتها، ثم قال عبر الميكروفون الصغير:

- هذه ستكون آخر رسالة مسجلة في تقرير الرحلة الذي سيتم تقديمه للمسؤولين في القرن الرابع والعشرين.

أنهى مرحلة التسجيل، وبدأ يعدّ برنامج الهبوط حتى انتهى من إعداده، فأمسك ميكروفونًا آخر أكبر حجمًا و ضغط زرًا مميزًا وهو يقول:

- والآن فلنعلن عن وصول البطل.

أمسك الميكروفون الكبير وقال في زهو:

- (فضاء – ٦) تنادي الأرض، لقد انتهت رحلة السفر الضوئية ونحن نستعد للعودة، أطلب الإذن بالهبوط.

ابتسم وهو ينتظر عبارات الترحيب التي ستنقلها إليه أجهزته، ولكن انتظاره طال أكثر مما يتصور، وبدأ التوتر يسري في جسده وهو يكرر:

- (فضاء – ٦) ينادي الأرض، هل تسمعني؟

ظل الصمت هو المجيب الوحيد لندائه، فتلاشت ابتسامته وهو يقول في عصبية:

- ماذا أصابهم؟! لماذا لا يجيبون النداء؟

اقترب أكثر من كوكب الأرض والصمت يغلف سفينته تمامًا، فسأل نفسه:

- هل أصابت الأرض كارثة؟!

أصابه السؤال نفسه بهلع شديد وهو يتصور نفسه يهبط على سطح الأرض فيجد أن كارثة كبرى قد دمرت كوكبه، فلم يعد هناك من يستجيب لندائه، ودفعه الهلع إلى أن يتشبث بالميكروفون ويقول في عصبية أكثر:

- (فضاء – ٦) ينادي الأرض، هل تسمعني؟

ولما لم يتلقَّ سوى الصمت في هذه المرة أيضًا راح يضرب الميكروفون بكفه صارخًا:

- أجب يا مركز المراقبة الأرضي! هنا (فضاء – ٦)، (فضاء – ٦) ينادي.

وجاء الصمت هذه المرة ليضاعف فزعه ورعبه.

لقد حدث شيء ما حتمًا..

شيء رهيب قضى على حضارة الأرض كلها..

لن يجد المستقبل في انتظاره كما كان يتصور..

سيجد الخراب، كل الخراب.

وارتجفت أطرافه وهو يتخيل كل ما سيجده هناك.

لا، لن يحتمل العودة إلى عالم كهذا، عالم بلا حضارة!.

لن يحتمل الهبوط على كوكب دمرته الكوارث وسحقت حضارته النوائب.

ولكن كيف يمكن أن يحدث هذا؟ كيف يمكن أن تُسحق حضارة كهذه؟

أية كارثة طبيعية؟

أم غزو فضائي؟

أم حرب عالمية رابعة؟

ارتجف في شدة عندما بلغ هذا الاحتمال الأخير..

لقد عاش عمره كله يخشى هذا الاحتمال، وعندما ترك الأرض منذ قرن ونصف القرن كان كل شيء يوحي بأن الحرب العالمية الرابعة على الأبواب، الشمال يتصارع مع الجنوب والشرق مع الغرب، الدول المتحدة العربية تنصب شبكة أسلحة الفضاء في مواجهة الغلاف الجوي (أوروبا المتحدة)، والأمريكيون يتأهبون للاشتراك في القتال، قنابل النيترون والبروتون متحفزة للهجوم.

صحيح أن عددًا من المسؤولين كان يبذل أقصى جهده لحل هذه الأزمة إلا أن هذا لا يضمن حلها بالفعل.

وقفز ذهنه إلى آخر ما قرأه في كتاب التاريخ عن الحرب العالمية الثالثة في بداية القرن الحادي والعشرين، الحرب الساحقة كما أطلقوا عليها، لقد كادت تدمر الكوكب بأكمله لولا أن تضافرت كل القوى للقضاء على من أشعلها، وبعدها عاد السلام وعادت مسيرة الحضارة.

هذا ما فعلته الحرب العالمية الثالثة منذ ما يزيد على ثلاثة قرون. فما الذي يمكن أن تفعله حرب رابعة الآن؟

إنها ستدمر كل شيء حتمًا، ستسحق كل وجوه الحضارة ولن تترك سوى خراب ودمار وتخلف و...

وفجأة انتابته موجة ذعر عارمة، كيف يمكن أن يهبط على الأرض ويحيا في دمار شامل؟!

لا، لن يحتمل هذا..

وبكل ما يملأ نفسه من لهفة وذعر هتف في الميكروفون:

- (فضاء – ٦) ينادي الأرض، أجب بالله عليك! أجب.

ومع الصـمت التام الذي سـاد كابينة القيادة بعدها تضـاعف ذعره أكثر وأكثر..

وكوكب الأرض يقترب ويقترب..

وبسـرعة راح عقله يعمل، لا بد أن يتخذ قراره قبل أن يبلغ الغلاف الجوي للأرض..

إنه لن يحتمل الحياة وسط خراب ودمار وحضارة بائدة، ولن يمكنه الانطلاق مرة أخرى لو عبر الغلاف الجوي..

لا، لن يعود..

إنه يفضل قضاء عمره في الفضاء على العودة إلى حضارة تحتضر.

وفي حزم ضـغط أزرار القيادة فتوقفت سـفينة الفضـاء ودارت حول نفسها، ثم انطلقت مبتعدة عن الأرض بسرعتها التي تقارب سرعة الضوء.

وراحت تبتعد وتبتعد وتبتعد.

وهناك على كوكب الأرض هتف أحد المراقبين الأرضـيين في دهشة:

- يا إلهي! إلى أين يذهب؟ إننا ننتظره منذ قرن ونصف القرن، ولقد أعددنا الاحتفالات بعودته، لماذا فعل هذا؟!

مط زميله شفتيه في أسى وأجاب:

- من الواضح أنه قرر الفرار.

هتف الأول:

- لماذا؟!

أجاب الثاني:

- ألم تفهم معنى رسائله يا رجل؟! لقد فسد جهاز الاستقبال في سفينته، وتصور هو أن ما من أحد يجيبه على الأرض، فأصابه الذعر وهرب وهو يظن أن حضارة الأرض كلها قد بادت.

ضرب الأول جهازه بقبضته هاتفًا:

- ذلك الغبي! كيف يفسد مهمة عمرها قرن ونصف القرن بسبب فكرة غبية كهذه؟! ألن يمكنه العودة مرة أخرى؟

هز الثاني رأسه نفيًا وأجاب في أسى:

- مع ذلك المسار الذي اتخذه لست أظنه سيعود مرة أخرى في جيلنا على الأقل.

ثم تنهد في عمق وأضاف:

- وهذه أول مهمة في التاريخ الفضائي يفسدها جهاز استقبال تالف، أليس كذلك؟

هناك

(قصة رومانسية)

- أحمد!

جفّ حلقها وارتجفت قدماها وتسمرتا وهي تنطق اسمه وتحدق في وجهه بدهشة بالغة تناسب تلك المصادفة العجيبة التي لم يكن من الممكن مجرد توقعها، في حين شاركها هو دهشتها وإن امتزجت دهشته هذه بفرحة واضحة ترددت مع حروف كلماته وهو يهتف اسمها بدوره:

- هدى؟!

ظلا واقفين لثوانٍ يحدق كل منهما في وجه الآخر في صمت قبل أن تندفع يده إليها في لهفة وسعادة وهو يضيف:

- لم أكن أتوقع رؤيتك هنا أبدًا!

تركت كفها يهفو إليه ويستكين في راحته وهي ترتجف ارتجافة خاصة ولهانة، وتتطلع إلى عينيه في شوق حقيقي أعجزها عن النطق، فاستطرد هو:

- ماذا تفعلين في لندن؟

لم تسمع سؤاله ولا فهمته، فقد احتل الشوق ملامحها كلها، وهزمت اللهفة كل مشاعرها وجعلتها تهمس في هيام:

- كيف حالك؟

احتضن كفها في حنان على نحو ذكرها بأيامهما السابقة، وعلت شفتيه ابتسامة هادئة سعيدة وهو يجذبها في رفق لتسير إلى جواره، ويتطلع إلى وجهها في حب قائلًا:

- من يصدق أن نلتقي هنا!

كررت:

- كيف حالك؟

هزّ رأسه في بساطة وأجاب:

- حمدًا لله على أية حال.

هبطت عيناها تبحثان عن كفه في لهفة، وانتبه هو إلى بحثها في قلق، فابتسم مغمغمًا:

- لم أتزوج بعد.

كادت تتنهد في ارتياح، ولكنها كتمت تنهيدتها في حياء، وسارت إلى جواره صامتة لا تصدق نفسها.

إنه حبيب حياتها..

فارس عمرها كله..

كان من المفروض أن يصبح خطيبها وزوجها لولا أن اعترضت أمها، واستنكر أبوها زواجها من شاب فقير مثله، لا يملك سوى رصيد أسرته المتواضعة وراتب ضئيل واهن لا يكفي لنفقات سيارتها الخاصة في أسبوع واحد.

وأمام ضغوط والديها لم يكن أمامها سوى الانفصال فانفصلا.

انفصلا وقلباهما يبكيان بدموع من دم، وروحاهما تتمزقان بخناجر من نار.

وبعدها بشهر واحد رحل هو..

لملم جراح قلبه ولواذع نفسه وثيابه القليلة واستقل بكل ما ادخر لزواجهما مقعدًا واحدًا في الطائرة المسافرة إلى باريس..

وبعدها انقطعت أخباره عنها وانقطعت أخبارها عنه.

وقطع ذكرياتها ليسألها في خفوت:

- وماذا عنكِ؟ هل تزوجتِ؟

كادت تبكي وهي تومئ برأسها إيجابًا، واحتضنت كفه بكفها وكأنها تعتذر له عما فعلت، وآلمها أن تلمح ذلك الحزن العميق الذي أطل من عينيه وهو يقول في همس:

- كنت أتوقع هذا.

استقر بهما المقام حول مائدة صغيرة تطل على ميدان بيكاديلّلي، فسألته ذلك السؤال الذي لم يفارق رأسها منذ سنوات:

- ماذا فعلت بعد أن سافرت إلى باريس؟

أطرق برأسه قليلًا وكأنه يستعيد ذكريات السنوات الماضية قبل أن يجيب:

- لم يكن الأمر سهلًا، فقد بلغت باريس وأنا لا أملك شروى نقير، وبذلت أقصى جهدي هناك للحصول على عمل مناسب، نمت على الأرصفة، امتهنت بعض المهن الحقيرة، تعذبت وتعبت، وفي النهاية حصلت على عمل معقول قضيت فيه عامًا واحدًا، ثم قررت مغادرة فرنسا كلها إلى بلد أوروبي آخر، وجئت إلى هنا وعملت في مطعم صغير، وتطورت في عملي حتى صرت اليوم المدير المساعد له.

ابتسمت مغمغمة:

- أنت متفوق دائمًا.

أجابها في خفوق:

- بل مكافح، هكذا نحن الفقراء، لا نملك سوى أن نكافح وأن نبذل كل طاقاتنا لبلوغ ما نحلم به، وليس لدينا خيار في هذا، فما الذي يمكننا بذله سوى هذا؟

كان يكرر أحاديثه السابقة معها وأيام حبهما، فتطلّعت إليه مبهورة، وكادت تلعن ثرائها الذي فرق بينهما، في حين تابع هو في شيء من المرارة:

- وهذا المنصب ليس كبيرًا هنا كما تتصورين، ولكنه على الأقل يؤمن لي دخلًا معقولًا يجعلني قادرًا على استئجار شقة متواضعة من حجرتين، وادخار بعضًا من الجنيهات للزمن.

ثم ابتسم مستطردًا:

- أتتصورين أنهم يعانون هنا أيضًا أزمة المساكن؟!

أومأت برأسها إيجابًا وهمست:

- أعلم ذلك.

صمت للحظات وهو يتطلع إليها وأصابعه تداعب كفها قبل أن يسألها:

- وأنتِ، أسعيدة في زواجك؟ ألديكِ أبناء؟

مضت لحظة صمت أخرى قبل أن تجيبه:

- إنني مطلّقة.

هتف في دهشة:

- مطلّقة!

أومأت برأسها إيجابًا وخفضت عينيها وهي تروي:

- كنت أتوقع هذا منذ الأيام الأولى لزواجي، فعلى الرغم من أن زوجي ينتسب إلى أسرة عريقة إلا أنه كان فظًا وقحًا، لا يقيم لي أو لبيته وزنًا ولا يحترم أسرتي وأقاربي، ولقد انبهر والدي بثرائه ووافق على زواجي منه بسرعة، ثم دفع ثمنًا غاليًا فيما بعد، كانت إهانات زوجي لأسرتي لا تنتهي، وصفاقته معهم تدهش الأقارب والغرباء، وكنا نحتمل جميعًا سخافاته في صبر حتى اعتدى عليّ يومًا بضرب مبرح، فأصر أبي على طلاقي منه، وهذا ما كان.

انحدرت من عينيها دمعة ساخنة بعد أن انتهت من روايتها المقتضبة، فامتدت أصابعه تمسحها عن وجهها في حنان وهو يقول:

- مسكينة أنتِ يا هدى.

قالت في أسف وهي تتطلع إليه:

- لم يكن ينبغي أن نفترق أبدًا.

هز كتفيه قائلًا في استسلام:

- وماذا كان يمكننا أن نفعل؟

هتفت به:

- نقاوم.

- نقاوم ماذا؟

- نقاوم كل من يحاول تحطيم حبنا.

- كنا سنقاوم مجتمعًا كاملًا يرفض ارتباط فقير مثلي بثريّة مثلك.

- حبنا سيمنحنا القدرة على المقاومة.

- هذا لو صمد لها.

- ومن أدراك أنه لم يكن ليصمد؟!

- الفقر، الفقر الذي أعرفه والذي تجهلينه.

نطق عبارته الأخيرة في مرارة كاملة جرحت قلبها قبل أن يضيف.

- لقد عشـــت عمري كله في هذا الفقر ولم أكن أحتمله، فكيف بكِ وأنتِ لم تعيشـــي يومًا واحدًا منه؟! أراهن أنكِ هنا في لندن للتسوق فحسب، أليس كذلك؟

أومأت برأسـها إيجابًا في خجل وكأنها تشـعر بالعار لموقفها هذا، فأضاف:

- أرأيتِ؟ إنني أقيم هنا، ولكنني لا أجد ما يكفي للســفر لدولة أخرى والتسوق منها.

احتضنت أصابعه بأصابعها في حب وحنان جعلاه يتطلع إلى وجهها مغمغمًا:

- كم يؤسفني أننا لم نتزوج يا هدى.

خيّل إليها في هذه اللحظة أن حياتها قد تعلّقت به، بحبها له، بعشقها لحنانه ورقته وكبريائه.

وقالت في حزم:

- ولِمَ لا نفعل؟

تطلّع إليها في دهشة وهو يقول:

- ماذا تعنين؟

أجابته في حماس:

- لِمَ لا نتزوج الآن؟

رد في دهشة:

- الآن! ولكن.. ولكنني ما زلت فقيرًا بالنسبة إليك.

قاطعته في لهفة:

- لقد خضت تجربة زواج فاشلة مع شاب أمقته، فلِمَ لا أخوض تجربة أخرى؟ أشعر أنها ستكون ناجحة مع من منحته قلبي منذ صباي، وما زلت أمنحه إياه حتى الآن.

قال في تردد:

- إنه حلم حياتي يا هدى، ولكن ماذا لو...

أمسكت كفه براحتيها في رجاء وهي تتطلع إلى عينيه قائلة في ضراعة:

- هل ستضيع فرصتنا الأخيرة بهذا القلق؟! ألم تفهم بعد لماذا جمعنا القدر مرة ثانية بهذه المصادفة العجيبة؟

لم يجب سؤالها، فقط تطلع إلى عينيها الجميلتين وقرأ فيهما كل حبها وشوقها ولهفتها..

وفي صمت نهض معها وكلاهما يتشبث بكف الآخر.

وفي المساء أرسلت هدى برقية مختصرة إلى القاهرة.

لقد التقيت بأحمد وتزوجنا.. هناك.

الباب الخلفيّ

(قصة بوليسية كاملة)

لست أدري مَن ذلك العالِم السخيف الذي بذل أيامه وجهده في سبيل اختراع تلك الآلة المزعجة المعروفة باسم الهاتف؟

إنني أشعر أحيانًا بالندم لأنني أضع واحدًا من هذه الهواتف إلى جوار فراشي.

لقد كنت أستغرق في نوم عميق بعد يوم عمل شاق عندما انطلق رنين ذلك الهاتف فجأة، واخترق أذني كرصاصة قاسية لا تعرف الرأفة أو الرحمة، وجعلتني أقفز من فراشي منزعجًا وألتقط سماعته وأقول في حنق:

- أنا المفتش عدل، مَن المتحدث؟

كنت أنوي إطلاق سيل من الشتائم والسباب على أذنيّ المتحدث لولا أن منعتني آداب المهنة عندما ميّزت صوت أحد الزملاء وهو يقول:

- إنه أنا يا عدل، معذرة لإيقاظك الآن، ولكن الرئيس طلب إسناد هذه القضية إليك بالذات.

حاولت دفع النوم عن ذهني وأنا أتثاءب في عمق قبل أن أسأله:

- أية قضية؟

أجابني في لهجة تشفٍ عن انفعاله:

- إنه صديقك عطوة، صاحب مصنع النسيج في شبرا، لقد.. لقد لقي مصرعه.

شعرت بخنجر حاد ينغرس في قلبي وأنا أهتف:

- عطوة!، هل قُتل؟

أجابني بسرعة:

- ليس لدي تفاصيل كاملة، ولكن رجال المعمل الجنائي هناك في المصنع.

كانت آثار النوم قد ذهبت كلها بالطبع وأنا أضع سماعة الهاتف وأرتدي ثيابي على عجل، ثم انطلقت بسيارتي الصغيرة إلى مصنع عطوة في شبرا، والحزن والألم يعتصران قلبي لفقد واحد من أقرب أصدقائي على هذا النحو.

وفي المصنع كان عمال نوبتجية الليل يقفون جميعًا في حزن وصمت، تشاركهم الآلات التي توقفت في حلوقها خيوط القطن الملونة، وأبت أن تكمل دورتها لتصنع أثواب القماش زاهية الألوان التي اعتاد المصنع إنتاجها.

وأسرعت أصعد إلى الطابق الثاني حيث مكتب عطوة، وهناك وجدت أشرف من المعمل الجنائي منهمكًا في فحص المكان ورفع البصمات، في حين يغطي رجال الإسعاف وجه عطوة ويضعونه فوق محفتهم لنقله حيث يتم فحص جثته.

وكتمت دموعي في صعوبة وأنا أسأل أشرف:

- ماذا حدث؟

هز رأسه قائلًا:

- جريمة قتل، ما في ذلك شـــك على الرغم من أن القاتل حاول جعلها تبدو انتحارًا.

قالها وأشـــار إلى حبل رفيع من خيوط الغزل التي ينتجها المصنع معلقًا في سقف المكتب، وتتدلى منه أنشوطة رفيعة بدت لي أقل سُمكًا من احتمال جسد رجل ناضج مثل عطوة، فقلت:

- يا له من قاتل غبي!، من الواضح أن الخيوط لن تحتمل و..

قاطعني أشرف:

- إنها خيوط متينة للغاية بخلاف ما يبدو، ولقد كان عنق عطوة داخل الأنشـــوطة بالفعل، وجســـده يتدلى متأرجحًا منها عندما وصلنا إلى هنا.

سألته في دهشة:

- كيف تأكدت إذن من أنها جريمة قتل؟

أجابني في حسم:

- إنها مهنتي.

تصورت أنه سيكتفي بهذا الجواب المقتضب، ولكنه أضاف في اهتمام:

- كانت هناك زُرقة تتركز عند الوجه والعنق، وعلامة الخيط كانت تحيط بالرقبة على هيئة دائرة أفقية كاملة متصلة، وهذا لا يحدث إلا عند استخدام القوة لخنق الضحية، أما في حالة الشنق فالزرقة تتركز في القدمين، وتكون علامات الخيوط مائلة من الأمام إلى أعلى الخلف، وتنمحي تمامًا عند مؤخرة العنق.

سألته في مرارة:

- ومن قتله؟

هز كتفيه قائلًا:

- هذا عملك أنت.

وكان على حق، فمهمته تقتصر على فحص المكان، أما مهمتي فتمتد إلى الكشف عن القاتل، وهذا ما سأفعله بإذن الله.

وبسرعة التفت إلى ضابط الشرطة الذي وصل قبلي إلى المكان وسألته:

- أهناك مشتبه فيهم؟

فأجابني على الفور:

- لقد أجريت تحقيقًا سريعًا في الأمر، وعلمت من العمال أن السيد عطوة وصل إلى المصنع في الحادية عشر مساءً، وظل في حجرته دون أن يصعد إليه أحد حتى تم كشف مصرعه.

قلت في عصبية:

- ما الذي يعنيه هذ؟!، أشرف يقول إن شخصًا ما قتل عطوة خنقًا، ثم علّقه في ذلك الحبل الرفيع ليوحي بانتحاره، و هذا يعني أن ذلك الشخص وجد طريقه إليه، أليس كذلك؟

أجابني محاولًا تهدئة انفعالي:

- بالطبع، وقد وجدنا الوسيلة التي بلغ بها القاتل مكتب السيد عطوة.

سألته في حِدة:

- وما هي؟

أجابني وهو يشير إلى باب صغير في مؤخرة المكتب، تطلّعت للحظة إلى الباب الصغير، ثم اتجهت إليه وفتحته.

كان يقود إلى ممر طويل ينتهي بدورة مياه خاصة، وقبلها سلم صغير يهبط إلى مخزن المصنع، فالتفت إلى الضابط أسأله:

- هل يستطيع أحد العاملين هنا التسلل إلى الباب الخلفي عبر المخزن؟

أجابني الضابط:

- كلهم يستطيعون هذا، ولكن تحرياتنا تثبت أن ثلاثة منهم فقط غادروا مواقعهم أثناء نوبتجية الليل في الفترة ما بين وصول السيد عطوة وكشف جثته، وهم المهندس مختار رئيس النوبتجية، والأسطى بكير أقدم عامل هنا، والأستاذ عطية صهر عطوة.

قلت في حزم:

- أحضرهم إلى هنا على الفور.

ولم تمضِ دقائق حتى كان الثلاثة يقفون أمامي، بكير بعضلاته البارزة وجسده الممتلئ القصير، ومختار بقامته

الممشوقة وبنيته الرياضية، وعطية الذي بدا أشبه بمصارع قوي بكتفيه العريضتين وفكه الضخم.

وفي حزم قلت:

- لماذا غادرتم مواقعكم الليلة أيها السادة؟

مضت لحظات وكل منهم يتطلع إليَّ في صمت قبل أن يقول بكير في صوت أشبه بالزمجرة:

- لقد ذهبت لتفحص المخزن فحسب، ولكن غيري ذهب ليقتل المدير.

بدا الغضب على وجه عطية وهو يقول:

- غيرك مثل مَن؟

- لوح بكير بسبابته في وجهه وهو يقول:

- أنت تعلم من المقصود، لقد هدد عطوة بك - رحمه الله - بطردك، أليس كذلك؟

صاح به عطية:

- أيها الحقير!

كادا يتشابكان في مشادة حامية لولا أن أشرت إليهما بالصمت في صرامة وقلت:

- ما قصة الطرد هذه يا عطية؟

أجابني في عصبية:

- إنه اختلاف في الرأي فحسب، تشاجرنا عند وصوله الليلة، فسبَّني أمام الجميع، وهدد بطردي من المصنع مدعيًا أنه لم يقبل عملي فيه إلا لمصاهرتي إياه.

صاح بكير:

- ولهذا قتلته، أنت تعلم أن طردك من هنا سيلقيك على قارعة الطريق بلا عمل.

صرخ عطية:

- ولماذا أنا؟!، أنسيت مشاجرتك معه؟!، وموضوع العجز الذي كاد يُفصل بسببه المهندس مختار من عمله ويفقده مهنته؟

انعقد حاجبا مختار وقال:

- لم يكن باستطاعته فصلي، فليس من السهل أن يجد مهندسًا خبيرًا بمتانة الخيوط مثلي، أما أنت فلا تفقه شيئًا في عملنا، والتخلص منك لن يعني شيئًا.

استوقفتهم مرة أخرى في صرامة أكثر وقلت:

- مهلًا أيها السادة، أريد أن أعرف شيئًا عن مشاجرة بكير مع عطوة وموضوع العجز هذا.

أجابني بكير في عصبية:

- إنها مشاجرة قديمة منذ أسبوع كامل، لقد اختلفنا حول طبيعة مهنتي، والراتب الذي ينبغي أن أتقاضاه، فطلبت أنا زيادة كبيرة في راتبي، وأعلن عطوة بك أنه يُفضل فصلي عن زيادة هذا الراتب الحقير الذي أتقاضاه منذ عشر سنوات دون زيادة.

وصمت للحظة ثم أضاف في حِدة:

- وهذا ليس مبررًا لقتله.

رمقته بنظرة باردة كعادتي كلما أردت إرباك المشتبه فيه، ولكنه تصدى لنظرتي بأخرى حادة صارمة وقال:

- أتجده كذلك؟

تجاهلته تمامًا وأنا أشـيح بوجهي عنه إلى المهندس مختار وأسأله:

- وماذا عن ذلك العجز؟

بدا التوتر في وجهه وصوته وهو يقول:

- إنه مجرد خطأ في حسابات الأصناف الواردة بالمخازن، ولقد تصـور الحاج عطوة أن هـذا الخطـأ يعني وجود عجز أو اختلاسات، وهددني بالفصل، ولكنني راجعت معه كل الدفاتر وأثبت له عدم وجود عجز.

قال عطية في حِدة:

- وما دليلك على هذا؟، شهادة الحاج عطوة؟

صاح به مختار:

- لا شأن لك بهذا، أنت لا تفهم شيئًا من عملنا.

أمسكه عطية في عنف وصاح في وجهه:

- ستدفع ثمن هذا غاليًا، فسأصبح مديرًا للمصنع بعد مقتل الحاج عطوة، وأول ما سأفعله هو فصلك منه.

ابتسم مختار في سخرية وقال:

- وهل ستعمل بالمصنع دون مهندس متانة؟

لوّح عطية بذراعه هاتفًا:

- سأجد غيرك، سأجده حتمًا ولو دفعت له ضعف راتبك.

أوقفت شجارهما وأنا أقول في حزم:

- كفى يا عطية، إنك لم تصبح مديرًا للمصنع بعد.

قال بكير في حدة:

- ولن يصبح.

التفت إليه أسأله:

- لماذا؟

أجابني بصوته الغليظ وهو يلوح بكفه في حنق:

- ألم تسمع ما قاله المهندس مختار؟!، إنه لا يفقه شيئًا في عملنا.

صاح عطية:

- يمكنني أن أتعلم.

صرخت بهم وقد أحنقتني شجاراتهم المتصلة:

- كفى!

لاذ ثلاثتهم بالصمت، وأطلقت أنا من أعماقي زفرة حادة، ثم عُدت أدير عيني في المكان بحثًا عن أي دليل أو قرينة قد تقودني إلى القاتل الحقيقي منهم.

ورفعت نظري إلى ذلك الحبل الرفيع الذي كان يتدلى منه جسد صديقي الراحل عطوة و...

وفجأة قفز الحل إلى ذهني، نعم، هذا هو الحل المنطقي.

وهبطت عيني مرة أخرى لتواجه المشتبه فيهم الثلاثة وأنا أقول:

- معذرة أيها السادة، لقد عرفت القاتل.

أتى السؤال على لسان ثلاثتهم في آنٍ واحد مغموسًا في اللهفة:

- ومن هو؟

رفعت سبابتي أمام وجهي وأنا أقول في حزم:

- إنه الشـــخص الوحيد بينكم الذي تكفي خبرته ليكون واثقًا من أن ذلك الحبل الرفيع المصنوع من خيوط غزل المصنع يكفي لحمل رجل ناضج كعطوة، في حين يتصور أي شخص غيره أن الخيط أرفع من أن يحتمل ذلك، أو أنه أقل متانة مما ينبغي.

شحب وجه المهندس مختار، وتراجع مرددًا في هلع:

- مستحيل! مستحيل!

ثم انطلق يعدو عبر الباب الخلفي للمكتب، ولكني انطلقت خلفه وأوقفته ولكمته في فكه و...

ولدي الآن اعتراف كامل منه، اعتراف تفصـــيلي كتبه وهو يرتعد ويستند إلى الباب..

الباب الخلفي.

الخطأ

(قصة كاملة من الخيال العلمي)

يا لها من مشكلة!

لقد أ صيبت آلة الزمن التي اخترعتها بعطب حيوي مخيف في أولى رحلاتي بها.

ها هي ذي تلقيني في تلك الصـــحراء المقفرة، ذات العشـــب العجيب والمستنقعات المتناثرة في كل مكان.

ماذا أفعل الآن؟!

كيف أعود بالآلة إلى العصر الذي انطلقت منه؟

المشـكلة أنني لم أُحضـر معي أدواتٍ كافية لإصـلاح ذلك العطب، ولســت أدري كيف أواجه الموقف، لم تخطر ببالي هذه المشكلة قط وأنا أبدأ رحلتي هذه.

كنت قد أعددت لكل شـيء عدته، وقضـيت أعوامًا طوالًا أدرس نظريات الزمن والنسبية والسرعة حتى توصلت أخيرًا إلى الحلقة المفقودة في أسطورة آلة الزمن الشهيرة التي لطالما داعبت خيال وأفكار العلماء من قبل، وكانت هذه الحلقة المفقودة هي الطاقة.

مئات من العلماء من قبل قد درسوا الفكرة على الرغم من غرابتها، وحاولوا التصدي لفكرة السفر عبر الزمن واختراقها، ولكن كانت تواجههم دائمًا المشكلة نفسها، ما الطاقة اللازمة لهذا؟

ووحدي توصلت إلى الحل، والحل يكمن في سرعة الضوء، تلك السرعة الثابتة التي يفترض الجميع أنها أكبر السرعات المعروفة في عالمنا.

إننا نرى الأشياء ونتعايش معها لأنها تمضي من حولنا بتلك السرعة، بسرعة الضوء.

ماذا يحدث إذن لو أمكننا السير بسرعة تساوي سرعة الضوء؟، لو أمكننا هذا - نظريًا - فستنعدم الحركة من حولنا، وسيبدو كل شيء وكأنه ثابت جامد لأننا نسير بنفس سرعة الرؤية.

هل تبدو لكم هذه النظرية عجيبة؟

لقد بدت لي كذلك أيضًا قبل أن تثبتها معادلاتي الرياضية، فأيقنت من أنها حقيقية، لا مجرد فكرة نظرية، وبعدها انتقلت إلى النقطة التالية.

ماذا يحدث عندما ننطلق أو نرى أسرع من الضوء؟

في هذه الحالة تسبق رؤيتنا رؤية الإنسان العادي، ونتجاوز حدود الزمن المعروفة و... ونكسر حاجز الزمن، تمامًا كما كسرنا من قبل حاجز الصوت.

ولكن أية طاقة هذه التي تسمح لنا بتجاوز سرعة الضوء؟

وكيف ننطلق أسرع من الضوء دون أن نتجاوز حدود المكان؟

كانت هذه هي المشاكل الفعلية التي تواجه اختراعي العظيم،

وبالنسبة للمشاكل الأخرى كان الحل سهلًا، إذ كان الدوران في المكان يحقق الهدف المنشود إذ أن آلة الزمن ترتكز على محور ثابت، وتحكمها قمة ثابتة، ويمكنها أن تدور بأية سرعة معروفة دون أن تتحرك من مكانها قيد أنملة.

وبقيت مشكلة الطاقة.

حتى الطاقة النووية لا يمكنها أن تبلغ بنا هذه السرعة.

وقضيت سنواتٍ أدرس هذه المشكلة وأبحث عن حل مناسب لها.

وأخيرًا وضعت يدي على الحل، إنها السرعات المتزايدة.

تمامًا كما يحدث مع سفن الفضاء القديمة ذات المراحل، كل مرحلة كانت تطلق كمية من الطاقة كافية لزيادة سرعة الصاروخ على نحو متتالٍ حتى يبلغ الصاروخ سرعته القصوى.

لعبة قديمة شهيرة..

سأستخدم أضخم طاقة معروفة وهي الطاقة النووية مع عدد من الحركات المتتالية، بحيث يعمل المحرك الأول بكل قوته حتى تبلغ سرعة آلة الزمن أقصاها، وهنا ينطلق المحرك الثاني ليضاعف هذه السرعة ثم الثالث والرابع وهكذا..

وانتهت عندئذ لعبة الدراسة وبدأت مرحلة التنفيذ.

ولم يكن التنفيذ سهلًا.

لقد احتاج مني إلى عام كامل قبل أن تكتمل آلة الزمن.

وفي زهو وقفت أتأمل آلتي العظيمة..

كانت أشبه بنحلة دوارة من تلك التي يستخدمها الأطفال، ولكن بحجم كبير يكفي لحملي، بالإضافة إلى ستة محركات نووية متتابعة، وفي الداخل لم يكن هناك سوى مقعد واحد أشبه بمقاعد الطائرات، له حزام قوي يثبت الجالس إلى المقعد في شدة، وشاشة تحدد الزمن المطلوب بلوغه بالتحديد مع زر للتشغيل.

وعندما انتهت الآلة كان من الضروري أن تتم تجربتها، والتجربة في هذه الحالة تنحصر في القيام برحلة عبر الزمن باستخدام آلتي الأسطورية العظيمة، وحتى ذلك لم يكن سهلًا.

أخبرني أنت، إلى أي عصر تنطلق لو أنك تمتلك آلة الزمن؟

إلى الماضي؟ أم إلى المستقبل؟

أتحاول رؤية التاريخ أم معرفة المستقبل؟

ظللت ليومين كاملين أدرس هذه المشكلة قبل أن أتخذ قراري الحاسم.

التاريخ يملأ صفحات الكتب ولكن.. من يعرف المستقبل؟

من يمكنه أن يتخيل ما ستكون عليه الأرض بعد مائتي عام مثلًا؟ هذا هو بالضبط الزمن الذي سأذهب إليه، بعد قرنين من الآن.

أعددتُ كل شيء وجلست أتخيل موقف أهل القرن بعد القادم عندما يجدونني بينهم قادمًا من قرنين سابقين بآلة زمن أسطورية!.

تصورت أنها ستكون معجزة قرنهم، وقنبلة العالم لديهم.

وفي زهو وخيالي يرسم عشرات الصور الجميلة جلست داخل آلة الزمن، وحددت تاريخ ويوم الوصول بعد قرنين من عصري، ورأيت الرقم يرتسم على شاشة الآلة، ثم ضغطت زر التشغيل.

وبدأت آلة الزمن عملها..

انطلق المحرك الأول وتزايدت السرعة في عنف، ثم انطلق المحرك الثاني والثالث، ولم أعد أحتمل السرعة الفائقة، والآلة نفسها لم تعد تحتملها.

انفجرت الشـــاشـــة بغتة وتصـــاعدت أدخنة كثيفة من أجزاء متفرقة من الجهاز، وكاد رأسي ينفجر و...

وتوقفت الآلة فجأة! وفقدت الوعي.

لست أدري كم ظللت فاقدًا للوعي.

ولكن ما قيمة الزمن؟

المهم أنني اســتعدت وعيي لأجد نفســي و قد ذهبت إلى الماضي بدلًا من المستقبل!.

من الوا ضح أن انفجار الشا شة أ صاب الآلة بعطب، فقذفت بي إلى الماضي وليس إلى المستقبل.

وكم يبدو الماضي كئيبًا!.

ولكن لكل مشكلة حل، سأجد حتمًا أي شيء يصلح كأداة لإصلاح عطب الجهاز.

تركت الآلة في مو ضعها وأخذت أ سير حولها بحثًا عن قطعة جر أو جزء نبات صلب أو أي شيء من هذا القبيل.

وفي أعماقي دار سؤال هام..

تُرى إلى أي عصر من عصور الماضي وصلت؟

إلى عصـر الديناصـورات؟ أم العصـر الحجري؟ أم ما قبل هذا؟

من يسكن الأرض في تلك الحقبة الرهيبة؟

الحيوانات المفترسة؟ أم البشر؟

توقفت أدير عيني فيما حولي بحثًا عن أي أثر للحياة، ولكن لم يكن هناك أي أثر.

على مدى الرؤية كان السكون يخيم على كل شيء.

فقط تلك الأعشـاب الحمراء والمسـتنقعات، لا توجد حتى حشرات أو حيوانات دنيئة، وكان هذا أعجب من أي تخيل!

كيف يمكن أن توجد كل هذه المسـتنقعات ودون حشـرة واحدة؟!

التفسـير الوحيد هو أن الآلة قد ذهبت بي إلى أبعد عصـور الأرض.

إلى عصر ما قبل الحياة..

قبل الديناصورات..

أو إنسان نايندرثال..

ولكن فجأة تعثرت بشيء ما..

دائرة معدنية ضخمة أخفتها الرمال تقريبًا!

ولكن كيف توجد المعادن في عصر يسبق ظهور البشر؟!

ألهب التساؤل فضولي بشدة، فانحنيت أزيح الرمال عن تلك الدائرة المعدنية في لهفة.

إنني أمام كشف مذهل حتمًا!

هذه الدائرة المعدنية من صنع البشر أو من صنع مخلوقات عاقلة على الأقل، وهذا يضع تساؤلًا جديدًا.

هل كانت هناك حضارة قبل الحضارات المعروفة؟

أم أن هذه الدائرة بقايا زيارة فضائية قديمة؟

أزحت الرمال عن الدائرة ولاحظت تلك النقوش الواضحة فوقها..

إنها لغة، لغة معروفة.

وفجأة وجدت نفسي أتراجع كالمصعوق.

لقد قرأت المكتوب على الدائرة المعدنية وأدركت أن الآلة لم تخطئ..

لم يكن هذا هو الماضي..

لقد كان المستقبل..

مستقبل الأرض..

جنون

(قصة كاملة من الخيال العلمي)

مرة أخرى سبقني الدكتور سلمان في التوصل إلى كشف جديد..

مرة أخرى انتزع مني التصفيق والهتاف في مؤتمر الطاقة الذرية.

من المؤكد أنه عبقري، إنني أعترف له بذلك على الرغم من ضيقي من هزائمه المستمرة لي.

لقد بدأنا أبحاثنا معًا هذه المرة، وكنت أتوقع أن تستغرق البحوث عامين على الأقل قبل التوصل إلى الصيغة المطلوبة، ولكنني فوجئت به يعلنها بكل ثقة في المؤتمر بعد شهرين فحسب.

وعندما تألقت عيناه بذلك البريق الظافر مع تصفيق وهتاف رواد المؤتمر مال زميلنا الدكتور شوقي على أذني وهمس:

- سيصاب سلمان يومًا بالجنون.

سألته في دهشة:

- ولماذا تتوقع هذا؟

اعتدل وهو يهز كتفيه قائلًا:

- لأنه عبقري أكثر من اللازم، وكل عاداته تختلف كثيرًا عنا، والقدماء قالوا أنه توجد شعرة دقيقة بين العبقرية والجنون، وأظن أن سلمان يقترب بسرعة من هذه الشعرة.

قلت رافضًا:

- أخالفك القول يا صديقي، فمن غير الممكن أن يصاب عبقري مثله بالجنون.

هز كتفيه مرة أخرى وقال:

- سنرى.

تطلعت في حيرة إلى سلمان ببريق عينيه العجيب ونظراته القوية المركزة، وسألت نفسي عن حقيقة ما يقوله شوقي،

أمن الممكن حقًا أن يصاب سلمان بالجنون؟ لا، لست أعتقد هذا، ربما يصاب بعقدة العظمة بعد نجاحاته المتوالية، ولكنه لن يصاب أبدًا بالجنون.

ولقد صارحت شوقي برأيي هذا، فأجابني بثقة عجيبة:

- هذا هو الجنون الذي أقصده، بارانويا كاملة، مزيج من عقدة العظمة مع عقدة الاضطهاد، سيصاب بهما حتمًا.

بدا لي شوقي مبالغًا إلى حد كبير، فتوقفت عن مناقشته في هذا الأمر، ووجدت أنه من اللائق أن أهنئ سلمان على نجاحه، فذهبت إليه أصافحه وأقول:

- ألف مبارك لنجاحك يا زميلي العزيز.

صافحني في حرارة ورمقني بعينيه المتألقتين وهو يقول:

- أشكرك يا صديقي، ولكن ألم يضايقك حقًا أنني فزت عليك هذه المرة؟

كان هذا يضايقني بالفعل، إلا أنني أجبرت نفسي على الابتسام وأنا أقول:

- مطلقًا، المهم أن يفوز العلم بما نحققه، وليس المهم هو من ينجح منا في هذا.

قال في هدوء وهو يتفرس ملامحي في دقة شديدة:

- حقًا؟!

خُيل إلي أنني لن أستطيع خداعه هذه المرة، فوجدت أنه من الأفضل أن أتخذ منحنى آخر في حديثي معه، فقلت:

- أين ستقضي إجازتك هذه المرة؟

أجابني في هدوء وهو يبتسم ابتسامة خبيثة توحي بفهمه لمحاولتي الفرار:

- في المعمل، وماذا عنك أنت؟

قلت محاولًا إنهاء الحديث بسرعة:

- سأقضيها في فيلتي الصغيرة على ساحل البحر الأحمر.

أنهيت حديثي معه في سرعة، وقررت الذهاب إلى البحر الأحمر بالفعل في إجازتي التالية بعد أسبوع واحد، ولقد فعلت.

لم يمضِ أسبوع واحد على نهاية المؤتمر حتى كنت أسترخي في شرفة الفيلا المطلة على البحر الأحمر، وأتطلع إلى المياه في انتعاش ونشوة.

كانت هذه الفيلا شبه المنعزلة هي أفضل مكان أقضي فيه إجازتي دائمًا على الرغم من أنها تبدو في الليل كمصباح صغير وسط ظلام دامس إذ لم تكن هناك مبانٍ مجاورة لها إلا على بعد عدة كيلومترات، وكنت أستخدم مولدًا خاصًا لإنارتها في الأيام التي أقضيها فيها لعدم وصول التيار الكهربي الرسمي إليها.

ولقد هدأت أعصابي هناك بالفعل بعد يومي الأول، فانهمكت في صيد الأسماك والسباحة والغوص، ونسيت كل ما يتعلق بالمؤتمر وهيئة الطاقة الذريّة و سلمان.

هذا في اليوم الأول فقط..

أما في اليوم الثاني فقد اختلف كل شيء، كنت قد انتهيت من الصيد مع غروب الشمس، وعدت إلى الفيلا وأشعلت المولد الكهربي الخاص، ورحت أطهو الأسماك عندما سمعت فجأة

تلك الطرقات العنيفة على باب الفيلا، كانت طرقات عنيفة للغاية حتى أنها أصابتني بالذعر، فارتجف جسدي كله وأنا أهتف:

- من بالباب؟

وأتاني الجواب بآخر صوت كنت أتوقعه، بصوت سلمان وهو يهتف في ذعر واضح:

- إنه أنا يا خليل، افتح بسرعة أرجوك.

أسرعت أفتح الباب في مزيج من الدهشة والحيرة، وحدّقت في وجه سلمان بقلق بالغ، إذ بدا أشعث الشعر زائغ البصر وهو يدفعني ليدلف إلى الداخل في سرعة هاتفًا في ذعر:

- أغلق الباب، أغلقه في سرعة.

أغلقت الباب في سرعة كما أراد، والتفت إليه أسأله:

- ماذا هناك؟ كيف أتيت إلى هنا؟

أجابني في رعب شديد:

- إنهم يطاردونني، لم أجد سواك لأحتمي به.

سألته في دهشة:

- من هؤلاء الذين يطاردونك؟

تشبث بي في ذعر جنوني وهتف:

- قومي، إنهم يريدون تصفيتي.

رددت في حيرة:

- قومك؟!، أهي عملية ثأر؟

كاد يبكي وهو يجيب:

- بل عملية تصفية، إنهم يسعون لقتلي بعد أن عثروا عليّ.

ربت على كتفه محاولًا تهدئته وأنا أقول:

- رويدك يا صديقي، اهدأ قليلًا وأخبرني عما يفزعك.

تلفت حولي في هلع ثم مال نحوي قائلًا:

- أتدري لماذا كنت أتفوق عليك دائمًا؟

كان السؤال عجيبًا في مثل هذا الموقف، ولكنني عجزت عن كبت فضولي وأنا أسأله:

- لماذا؟

أجابني بنفس الهلع:

- لأن كل هذا بالنسبة لي يعد علومًا بسيطة لا تحتاج إلى جهد لدراستها وكشفها.

قلت في ضيق:

- بالطبع إنها كذلك بالنسبة لعبقري مثلك.

هتف في خوف واضح:

- خطأ، لست كما تظنني، إنني مجرد رجل عادي في كوكبي.

تراجعت هاتفًا في دهشة:

- كوكبك!!

صاح في ارتياع:

- نعم، إنني لست من سكان كوكب الأرض يا خليل، إنني من كوكب آخر، لقد هربت من كوكبي وحضرت إلى هنا، حاولت العيش كواحد من أبناء الأرض، ولكنهم كشفوا أمري، اليوم فقط علمت هذا، وهم يطاردونني وسيقتلونني حتمًا.

فجأة ودون أسباب واضحة تجاوز سلمان ذلك الحاجز الواهي بين العبقرية والجنون، وأصابته عقدة الاضطهاد كما تنبأ شوقي تمامًا، أصابته على نحو مناسب لعالم مثله، فصنع خياله قصة علمية وهمية من خلال جنونه العلمي المطبق.

وفي انفعال بالغ هتف بي سلمان:

- إنك لا تصدقني، أليس كذلك؟

حاولت استرجاع ما قرأته قديمًا في علم النفس وأنا أقول له:

- إنني أصدقك يا سلمان، استرح وسأحضر لك قرصًا مهدئًا.

هتف بي:

- لا وقت لهذا، سيصلون ما بين لحظة وأخرى، وأريد منك أن تعلم الحقيقة كلها.

تصبب على جبينه عرق غزير وهو يستطرد في ارتياع عجيب:

- إننا نشبهكم تمامًا في كوكبي فيما عدا أننا نملك القدرة على الرؤية في الظلام، وهذا سر تألق عينيّ المستمر، ولقد كنت أحد

رجـال الأمن العلمي هنـاك، وعنـدمـا يقتلونني لن يتبقى مني سوى من الرماد ما له لون أزرق باهت.

كانت قصة خيالية للغاية، وكان جنونه واضحًا، فغمغمت:

- بالطبع يا سلمان، بالطبع.

لم يكن لعبارتي أي معنى، ولكنه لم يلتفت إليها وإنما عاد يتشبث بي قائلًا:

- المهم أنه هناك وسـيلة لإعادتي إلى الحياة لو أمكنك الحفاظ على الرماد كاملًا، ومن الضروري أن أخبرك بها قبل أن..

تسـللت إليَّ فجأة رائحة الدخان وتذكرت أنني نسـيت الأسماك فوق الموقد، فهتفت:

- يا إلهي! الأسماك.

واندفعت نحو المطبخ لأجد الأسـماك مشـتعلة فوق الموقد، وسمعت سلمان يهتف خلفي:

- دعك من هذا، واستمع إليَّ أولًا قبل أن يمضي الوقت.

لم يكن باستطاعتي تجاهل مطبخي المشتعل، فأسرعت ألتقط أسطوانة إطفاء الحريق، وأطلقت محتوياتها على الموقد والأسماك المشتعلة، وسمعت صوت سلمان يصرخ:

- لا لا.

ثم سطع بريق عجيب داخل الفيلا، سطع للحظة واحدة ثم اختفى وتلاشى.

وأسرعت عائدًا إلى حيث تركت سلمان، ولكنني لم أجده هناك.

كان باب الفيلا مفتوحًا، يتراقص مع هبات الرياح دون أن يكون هناك أثر لسلمان، فأسرعت إلى النافذة وأنا أظنه انطلق هاربًا مع نوبة الجنون التي أصابته، ولكنه لم يكن هناك، فقط كانت توجد بقعة فضية تنطلق على ارتفاع متر واحد من سطح البحر، ثم ارتفعت تلك البقعة فجأة إلى السماء واختفت.

وعندما عُدت إلى الفيلا وقع بصري على كومة الرماد الأزرق التي ما زالت تحتل قارورة مغلقة في إحكام فوق أهم رفوف معملي حتى لحظة كتابة هذه السطور..

وذهب سلمان إلى الأبد ما دام لم يبلغني بوسيلة التعامل مع الرماد الأزرق..

ولقد تركني لذكريات ذلك اليوم العجيب..

يوم الجنون.

ابنة الجيران

(قصة رومانسية كاملة)

يا لها من ليلة! لن أنساها أبدًا.

الليلة التي انحسمت خلالها علاقتي بزوجي عماد إلى الأبد.

كنت أشــعر منذ مغادرة منزلنا أنها لن تكون أبدًا ليلة عادية، ولكني قاومت غريزتي الأنثوية هذه، وتمسكت بخروجي مع عماد وبذهابنا إلى ذلك الملهى الشــهير، فقد كانت علاقتنا تمر بأزمة حادة منذ عدة أشــهر، وكانت هذه الســهرة هي محاولتي الأخيرة لإعادة علاقتنا إلى ما كانت عليه، لذا فلم يكد عماد يوافق على الذهاب إليها حتى ارتديت ملابســي في ســرعة قبل أن يتراجع في رأيه كالمعتاد ويفضل قضاء السهرة في المنزل أمام التليفزيون.

وعندما قاد ســيارته إلى الملهى بدأ ذلك الشــعور بالقلق يســاورني دون أن أدري له ســببًا، مما جعلني أتصــور أنه مجرد قلق

من فشل محاولتي لاستعادة حب زوجي واهتمامه بعد شهور ساد فيها الجفاء والجفاف حياتنا.

وأعترف أنني كنت مخطئة في هذه الشهور السابقة، فقد تجاهلت متاعبه الجسمانية والنفسية من جراء انتقاله من عمل إلى آخر، ومحاولته تثبيت أقدامه في عمله الجديد، ورحت أطالبه بعشرات الأمور والأشياء التي تثقل كاهله أكثر وأكثر لأثبت لنفسي أن العمل الجديد أكثر ربحًا من القديم.

ولكنني انتبهت إلى الخطأ فيما بعد..

انتبهت إليه بعد أن كان عماد قد ضجر من أسلوبي، وبدأ يتعامل معي في جفاء وغلظة، أو ربما أن هذا ما نبهني إلى ذلك!

المهم هو أنني انتبهت إلى الخطأ، وقررت بذل أقصى جهدي لاستعادة زوجي.

ولكن يا للخسارة!

كل محاولاتي باءت بالفشل لأن عماد تجاهلها تمامًا أو استقبلها في حذر و شك متصوراً أنها مجرد مناورة مني للحصول على أمر يفوق قدراته.

وكان عليّ أن أحتمل..

وأواصل المحاولة..

وليلة أمس كانت فرصة مثالية لإصلاح كل شيء، فقد كانت توافق ذكرى أول لقاء لنا، ذلك اللقاء الذي جمع بيننا وربط بين قلبينا وجعلنا نرتبط بالحب والخطبة والزواج، وقررت استغلال هذه الذكرى.

قررت أن أنعش ذكريات الحب في قلبينا وأفجّر ينابيع العشق والحنان في نفسينا، فتتدفق عواطفنا وتمتزج، وتغسل كل الآلام والضغائن من عقلينا، فتصفو روحانا وتعود كل الأمور إلى ما كانت عليه.

وكانت خطتي تسير على ما يرام..

حتى وصلنا الملهى..

وحتى ظهرت هي..

كنا قد اتخذنا مائدتنا الخاصة التي حجزتها من قبل يومين، والمجاورة لمنصة العروض في الملهى، وبدأت أستعد لكلمات الحب والدفء والحنان عندما انطلقت تلك الضحكة.

ضـحكـة مرحة عابثة جلجلـت في المكـان وأدارت أنظـار الجميع إلى صاحبتها الفاتنة.

إنها هي..

فوزية، ابنة الجيران التي كانت تقيم في الشقة المقابلة لزوجي عندما كان طالبًا بالجامعة.

فوزية الفاتنة ذات البشـرة البيضـاء المشـربة بحمرة مثيرة، وصـاحبة العينين الخضـراوين اللتين كانتا تلهبان خيال كل شباب الحي.

فوزية بشـعرها الأشـقر الذهبي الجميل الذي كثيرًا ما تطاير على جبهتها فتطايرت معه قلوب الجميع.

حتى زوجي وقع في حبها ذات يوم قبل أن نلتقي.

هو نفسه اعترف لي بذلك..

لقـد وقع في حبهـا وارتبط بهـا وكـادت دبلـة خطبتي تزين إصبعها هي لولا أن ظهر ذلك العريس الثري في حياتها.

وأمثال فوزية لا يمكنهن مقاومة زوج ثري، إنهن يعشقن جمالهن، ويرغبن دومًا في الحفاظ عليه وصقله والتباهي به،

لهذا تخلت فوزية عن عماد ووافقت على الزواج بالعريس الثري.

وتركت عماد جريح القلب والفؤاد..

هكذا التقيت به..

كان حزينًا كسيرًا، ولكنني منحته حبي وحناني، وعاونته على الخروج من أزمته.

كان هذا فيما مضى..

منذ خمس سنوات.

وها هي ذي فوزية تعود إلى حياتنا.

تعود أكثر جمالًا وفتنًا وتألقًا..

وها هو عماد يتطلع إليها مبهورًا مفتونًا.

إنني أحفظ نظرته هذه وابتسامته الشاردة، وأفهم دقات أنامله العصبية على سطح المائدة كلما التهب قلبه بشيء ما يعجز عن وصفه صراحة..

لا ريب أنه يستعيد ذكرياته معها.

ذكريات الحب والصبا..

هي أيضًا رأته، ابتسامتها الرائعة هذه تعني هذا.

لقد نهضت من مائدتها واتجهت إلينا وألقت علينا تحية المساء،

ألقتها في نعومة شديدة على عماد وفي استثقال وبرود عليّ.

ثم صافحت عماد، وكدت أقتلها وهي تفعل.

لقد صافحته في رقة مبالغة، وتركت كفها بين أصابعه طويلًا وهي تتطلع بعينيها الواسعتين الخضراوين إلى عينيه قبل أن تسحب أصابعها في بطء، وتبتسم ابتسامة ظافرة ساحرة تذوب لها القلوب..

لقد شعرت بما رأيته أنا..

شعرت بارتجافة أصابع عماد وبرودة أطرافه.

وبعدها انسحبت في نعومة أفعى تدرك أنها أوقعت بفريستها من دون شك.

وجلس عماد، جلس دون أن يدرك حتى أنه جلس.

كانت عيناه تتابعانها في هيام واضح، ثم تجمدت تلك النظرة في عينيه..

وشردت..

وبكى قلبي في صدري..

إنه يستعيد ذكرياته معها.

أتيت به إلى هنا ليستعيد ذكريات حبنا فإذا به يستعيد ذكرياته مع حبه القديم!

مع ابنة الجيران..

إنني أفهمه، أحفظ كل خلجاته وحركاته، ولن أعترض طريقه،

لو أنه اختارها فسأستسلم على الفور وأغادر المكان.

لا تطالبوني بالمقاومة.

كرامتي تأبى حتى أن تقاوم..

إنني أخالف الكثير من العلماء الذين يرون أن الحب معركة تستحق القتال من أجل النصر فيها.

أخالفهم تمامًا..

الحب ليس معركة، إنه شركة تضامن بين شريكين متحابين، يتمسك كل منهما بالآخر، ويبذل أقصى جهده للاحتفاظ به دون قهر أو إجبار.

هذا هو الحب في رأيي، وعماد الآن يملك حق الاختيار.

لقد توفي زوج فوزية منذ أقل من عام، وهي الآن أرملة فاتنة ثريّة وجميلة، وفي مصافحتها لعماد أعلنت على نحو خفي استعدادها للعودة إليه، أو استعداده هو للعودة إليها.

وما زالت إلى الآن ترمقه بنظراتها الناعمة المثيرة.

أما أنا فانكمشت في مقعدي مستكينة، أنتظر قراره ودموعي تملأ أعماقي وتنهمر في نفسي المستسلمة لقدرها، وكل ما أدعو الله به في سري هو أن يتذكر عماد حبنا أيضًا.

يتذكر كيف كنا نسير على الكورنيش وأصابعنا تتشابك في حب وحنان، كيف كنت أحيطه بدفء حناني عندما كان في مسيس الحاجة إليه، ولكنني أيضًا تخليّت في الآونة الماضية، وهذا آخر ما يتذكره ولا ريب.

ثم إنني لن أنافس فوزية أبدًا في ساحة الجمال.

إنني أعترف لها بالتفوق في هذا المجال، الفارق بيننا أشبه بالفارق بين تلفاز ملون حديث وآخر أبيض وأسود عتيق الطراز.

لا تضحكوا لهذا التشبيه..

إنها الحقيقة..

أنا عادية الجمال، أميل إلى البساطة في ملابسي وزينتي، ولست مثلها فَتِنَة تمشي على قدمين.

من المؤكد أن عماد يجري هذه المقارنة في ذهنه الآن.

يقارن بين جمالي وجمالها..

وسأخسر هذه المقارنة حتمًا..

وقد أخسر المعركة كلها..

وما زال عماد شاردًا..

ما زال لم يتخذ قراره بعد..

ولكن مهلًا..

ها هو ذا يبتسم..

إنني أحفظ هذه الابتسامة..

أحفظها عن ظهر قلب..

إنها تعني أن عماد قد توصّل إلى قرار حاسم ترتاح له نفسه.

تُرى من اختار؟ أنا أم هي؟!

ها هو ذا يدير عينيه إليَّ، ويمنحني ابتسامته كلها، ويقول بصوت هامس محبب:

- ما رأيك لو تشاركينني الرقصة التالية؟

ورقص قلبي بين ضلوعي في سعادة، لقد اختارني قلبه.

ونهضت أراقصه، وفوزية تتابعنا بنظراتها في غيظ.

وفي أعماقي قررت أن أعتذر لـــــعماد عن جفوتنا الســـابقة بأسلوب عملي..

سأمنحه حبي وحناني وامتناني..

إلى الأبد.

حضارة

(قصة كاملة من الخيال العلمي)

اقتربت مركبة الفضاء من الكوكب المجهول في بطء، وألقى روّادها الثلاثة نظرة تفيض بالرهبة على تلك الوديان الممتدة أمامهم بلا نهاية، ثم أمسك قائدهم مسماع جهاز الاتصال، وتحدث إلى السفينة الأم التي تقف وسط فضاء لا نهائي على بعد مئات الكيلومترات من الكوكب المجهول قائلًا:

- نحن نقترب من منطقة الهبوط، كل شيء يسير على ما يرام، أجهزتنا تشير إلى وجود غلاف جوي للكوكب، ولكنه أقل سمكًا من غلافنا الجوي، وإن كان يحوي نسبة مناسبة من الغازات الصالحة لحياتنا وإن امتزجت بالكثير من الأشعة الكونية وفوق البنفسجية بسبب رقة الغلاف الجوي.

توقف عن الحديث وهو يراقب الكوكب، ومركبة الفضاء تقترب منه في سرعة، وسمع رفيقه يقول في اهتمام:

- نستعد للهبوط يا رقم واحد.

نقل رقم واحد قول زميله إلى السفينة الأم قائلًا:

- كل استعدادات الهبوط جاهزة، ونطلب الإذن باستقرار المركبة على سطح الكوكب المجهول.

أتاه صوت حازم من السفينة الأم يقول:

- يمكنكم الهبوط ومواصلة خط العمل.

أومأ رقم واحد برأسه لزميله، فبدأ كل منهما استعداده للهبوط، وأطلقت مركبة الفضاء صواريخها العكسية، وراحت تهبط فوق سطح الكوكب في بطء حتى استقرت فوقه، فقال رقم واحد:

- استعد يا رقم اثنين للهبوط معي إلى سطح الكوكب، أما أنت يا رقم ثلاثة فستبقى مستعدًا ومتأهبًا للانطلاق.

أومأ رقم ثلاثة برأســه مذعنًا في حين اتجه رقم واحد ورقم اثنين إلى حجرة جانبية أبدلا فيها ثيابهما وارتديا ثياب الفضاء، ثم قال رقم واحد:

- نستعد الآن للانتقال إلى المرحلة التالية الخا صة بتجربة الحياة على الكوكب المجهول.

قالها وفتح بابًا جانبيًا لمركبة الفضاء، خرج منه مع رقم اثنين إلى سطح الكوكب.

كان كل شــيء حولهما يوحي بأنهما فوق كوكب خالٍ من الحياة، فالرمال تنتشــر في كل مكان وتمتد طويلًا، والهواء هادئ وبســيط، وأشــعة الشــمس تغمر المكان وتنتشــر فوقه إلى حدود البصر.

ولكن رقم اثنين أشــار إلى نقطة ما في الشــمال الغربي وهو يقول في اهتمام:

- أترى تلك الأطلال هناك؟

تطلّع رقم واحد في اهتمام إلى حيث يشــير زميله، وبدت له تلك الأطلال التي امتزج لونها بلون الر مال فأخفتها عن أجهزة

الاستطلاع العلوية، وإن بدت أكثر وضوحًا من ذلك المنظر الأفقي، فقال رقم واحد عبر جهاز الاتصال بالسفينة الأم:

- هناك ما يبدو أنه أشبه بأطلال مدينة قديمة أو تكوين طبيعي بفعل عوامل التعرية، وسنتجه إليه لدراسته طبقًا لقواعد التجربة.

هبطت إليهما من المركبة سيارة خاصة مجهزة للسير على رمال الكوكب، فاستقلاها معًا وقادها رقم اثنين متجهًا إلى الأطلال التي أخذت تتضح تدريجيًا كلما اقتربا منها فهتف رقم واحد مبهورًا:

- إنها أطلال مدينة قديمة، وهذا يخالف كل دراساتنا السابقة للكوكب.

سأله رقم اثنين في اهتمام:

- هل نواصل رحلتنا إليها؟

أجابه في حماس:

- بالطبع.

ثم عاود اتصاله بالسفينة الأم قائلًا:

- كشــف مذهل، هذه الأطلال عبارة عن بنايات صــناعية، مما يثبت وجود حضــارة قديمة نمت على هذا الكوكب المجهول منذ زمن طويل.

أتاه سؤال قَلِقٌ من السفينة الأم:

- أهناك ما يشير إلى أنها بنايات مأهولة؟

ألقى رقم واحد نظرة فاحصة أخرى على الأطلال، ثم أجاب:

- لا، كل الدلائل تشير إلى أنها بنايات مهجورة.

ران الصمت للحظات وكأنما يتجادل المسؤولون في السفينة الأم حول هذا الأمر قبل أن يأتي صوت أحدهم قائلًا:

- افحص الأطلال يا رقم واحد، وأرسل إلينا تقريرك.

غمغم رقم واحد:

- سمعًا وطاعة.

اتجه مع زميله بالسيارة إلى داخل الأطلال، وراح ينقل بصره بينها مبهورًا وهو يقول مرسلًا تقاريره للسفينة الأم:

- إنها أطلال عظيمة للغاية، تشير في وضوح إلى عظمة الشعب الذي أقامها، وهي شاهقة أو كانت كذلك، فقد تحطمت قِممها بفعل سلاح متطور أو بعوامل التعرية الطبيعية، وسنحصل على عينة من المواد التي شيدت بها لتفحصها معاملنا، وهناك ما يشير إلى وجود شبكة طرق متطورة وسط الأطلال، كما ألمح وسط الرمال التي تغطي كل شيء أطراف مركبات صغيرة مطمورة، يبدو أن أصحاب هذه الحضارة كانوا يستخدمونها مثلنا في الانتقال من مكان إلى مكان، وسنقوم بفحص النشاط الإشعاعي للمكان، فقد توجد دلائل على قيام حرب ذرية أو نووية قديمة تسببت في كل هذا الدمار.

ضغط عدة أزرار في مركبته فأضيئت شاشة مربعة أمامه، وتحرك فوقها منحنى إلكتروني واضح مع أزيز متقطع جعل رقم اثنين يغمغم:

- كنت على حق، إنه نشاط إشعاعي قديم.

أومأ رقم واحد برأسه موافقًا في أسف، وتابع رسالته إلى السفينة الأم قائلًا:

- النتيجة إيجابية، هناك نشاط إشعاعي ضئيل في المكان، ولكنه يشير إلى حدوث حرب نووية قديمة، وهذا يثبت أن سكان هذا الكوكب بلغوا مبلغًا كبيرًا من التطور العلمي إلى حد اختراع وسائل الحرب النووية، وهذا يثبت أيضًا أنهم يتقاتلون مثلنا، وأن قتالهم هذا كان سببًا في محو حضارتهم من الوجود.

أتاه صوت مسؤول السفينة الأم وهو يسأله في شغف:

- ألا توجد أية بقايا لسكان هذه المدينة القديمة يا رقم واحد؟ صور أو سجلات أو حتى حفريات؟

تلفت رقم واحد حوله قبل أن يقول:

- لست ألمح هذا حولنا، ولكنني سأغادر المركبة أنا ورقم اثنين، وسنبحث عن أية آثار لهذا.

أوقف رقم اثنين السيارة وغادرها مع زميله، وراح الاثنان يتجولان وسط الأطلال الضخمة، وقال رقم اثنين

- يا للخسارة! من الواضح أنها كانت حضارة كبيرة ورائعة، لماذا حطموها هكذا؟

هزّ رقم واحد كتفيه وقال:

- من يدري لما فعلوا؟

ثم اتجها نحو إحدى المركبات المطمورة في الرمال، وراح يزيح الرمال عنها في عناية، ثم فحصها في اهتمام وضغط زر الاتصال بالسفينة الأم وقال:

- نوع المركبات التي يستخدمونها يشبه كثيرًا ما كُنا نستخدمه نحن منذ عدة قرون عندما كنا نعتمد على الوقود السائل.

كان رقم اثنين مشغولًا بإزاحة الرمال عن باقي المركبة عندما هتف فجأة وهو يشير إلى شيء ما برز وسط الرمال:

- انظر.

التفت رقم واحد في سرعة إلى حيث يقف زميله، ثم هتف في انفعال:

- لقد عثر رقم اثنين على بقايا كلسيّة، أظنها ما تبقى من جسد أحد سكان الكوكب.

أتاه صوت مسؤول السفينة الأم يهتف في لهفة:

- صف ما عثرتما عليه يا رقم واحد.

أجابه رقم واحد في حماس:

- إنه هيكل عظمي، يشـــبه كثيرًا في تكوينه هياكلنا العظمية فيما عدا الرأس، فهي أصـغر من رؤوسـنا على نحو ملحوظ، ولكن الأطراف متشـابهة كثيرًا، وتزيد الأصـابع عن أصـابعنا بإصـبع واحد في كل طرف.

أتاه صوت المسؤول مغمغمًا بانفعال:

- رائع يا رقم واحد، رائع، هذا أعظم كشوف العصر بحق.

قال رقم واحد في حماس:

- سـنحمل الهيكل العظمي معنا إلى السـفينة ليفحصـه علماؤنا، فقد يجدون اختلافات أخرى بين جنسينا.

ثم هتف فجأة:

- هناك كشف آخر أظنه أكثر أهمية.

سأله المسؤول في لهفة:

- ما هو يا رقم واحد؟ ما هو؟

أجابه رقم واحد:

- حقيبة صـــغيرة عثرنا عليها إلى جوار الهيكل العظمي، وأظنها تحوي بعض الوثائق عن صاحب الهيكل.

قال المسؤول:

- صف ما تحويه بدقة يا رقم واحد.

حاول رقم واحد فتح الحقيبة ولكن رتاجها قاومه، فأبعدها عنه قليلًا وأخرج من زيه الفضائي مسدسًا صغيرًا، أطلق من فوهته خيطًا من الأشـــعة على رتاج الحقيبة، فانكســـر بدويّ مكتوم وانفتحت الحقيبة، فأزاح رقم واحد ضلفتيها وقال:

- إنهـا تحوي بعض الأوراق التي تتشـــابـه كثيرًا مع أوراقنـا، ولكنها أكثر خشـونة، وفوقها بعض البيانات والرسـوم التي قد تشير إلى أن صاحب الحقيبة هو أحد العلماء على الأرجح.

فحص الأوراق والرسوم في سرعة قبل أن يضيف:

- رائع، الحظ الحسن يعمل إلى جانبنا حتمًا، إنه عالم فلكي.

سأله المسؤول في لهفة أكثر:

- ألا يوجد سوى الأوراق يا رقم واحد؟

قلَّب رقم واحد محتويات الحقيبة وقال:

- هناك جهاز صغير يشبه أجهزة التسجيل على كوكبنا، سأضغط أزراره لمعرفة محتواه.

ضغط أزرار الجهاز في حرص فلم يستجب ثلاثة منها، ثم لم يلبث الضغط على الرابع أن أطلق من الجهاز صوتًا رقيقًا بلغة يجهلها رقم واحد وزميله ورؤساؤه، وعلى الرغم من ذلك فقد أوصل رقم واحد الجهاز بأجهزة الاتصال في زيه الفضائي لينقل الصوت إلى السفينة الأم، حيث استقبله العلماء هناك دون أن يفهموا محتواه الذي يقول بلغة إحدى مدن ذلك الكوكب المجهول:

- أنا الدكتورعاطف سليم، أستاذ الفلك بجامعة القاهرة، وهذه رسالتي الأخيرة قبل فناء الأرض بسبب نتائج الحرب العالمية السابعة عام ثلاثة آلاف وخمس وستين، إنها نهاية كوكب الأرض، أتركها كوثيقة للأجيال القادمة..

ثم أضاف الصوت في مرارة:

- لو كانت هناك أجيال قادمة.

الغزو

(قصة كاملة من الخيال العلمي)

- استعدوا، سنلتقط الصورة

قالها سعيد وهو يبتسم ابتسامة واسعة موجهًا حديثه إلى زوجته وطفليه الذين استعدوا ليلتقط لهم هو تلك الصورة وسط الزهور الجميلة، وضغط هو زر الالتقاط وهو يمنّي نفسه بصورة جيدة و...

وفجأة اقتحم ذلك الرجل إطار الصورة..

في نفس اللحظة التي ضغط فيها سعيد زر الالتقاط كان ذلك الرجل رث الثياب، شاحب الوجه، مطلق اللحية، قد اقتحم الصورة واحتل مكانه إلى جوار الزوجة والطفلين قبل أن يتهاوى خلفهم في تهالك.

وفي دهشة تمتزج بالغيظ أزاح سعيد آلة التصوير عن عينيه وهتف:

- معذرة، ولكن هل لك أن تبتعد قليلًا عن الـ...

انتبه فجأة إلى أن الرجل يحدق فيه بعينين جاحظتين ويشير إليه بأصابع متهالكة نحيلة وكأنما يدعوه إلى الاقتراب منه، وشفتاه تلهثان بهمهمة خافتة، فتطلع إليه سعيد في دهشة زايلها الغيظ، وهمّ بالاقتراب منه على نحو غريزي لولا أن سمع زوجته تهتف في خوف:

- لا، لا تقترب منه يا سعيد.

توقف لحظة ثم قال في تردد:

- الرجل مريض.

هتفت وهي تتراجع وتجذب إليها طفليها:

- لا تقترب منه، ربما كان مصابًا بوباء ما.

همّ بالابتعاد عن الرجل بالفعل لولا أن خُيّل إليه أن وجه الرجل يبدو مألوفًا إلى حد ما، ودفعته قوة عجيبة في أعماقه إلى

الاقتراب منه على الرغم من صـــياح زوجته وتحذيراتها الهلعة، فانحنى نحو الرجل وغمغم:

- ماذا تريد؟

امتدت الأصـــابع النحيلة المتهالكة تقبض على كفه، وقال الرجل في لهجة أشد بلهجة رجل يحتضر:

- أنقِذني، أنقذ الأرض كلها.

ردد سعيد في دهشة:

- الأرض؟! ماذا تعني يا رجل؟

ارتجفت الكلمات أكثر وأكثر على شفتي الرجل وهو يقول:

- اقضِ عليه، إنه طليعة الغزو، أنقِذني.

ثم أطلق شهقة قوية، وتراخت أطرافه كلها وفقدت عيناه نور الحياة..

وفي رهبة وخوف هبّ ســعيد واقفًا، وتراجع في حركة حادة وهو يحدّق في الرجل المُسجى أمامه.

لقد مات..

لفظ أنفاسه الأخيرة أمامه..

وهتفت زوجته في رعب:

- أرأيت؟ ألم أحذرك؟ ألم أحذرك؟

ظلّت تصرخ بالعبارة دون توقف حتى وصل رجال الشرطة، وراح سعيد يقصّ عليهم ما حدث، ويشرح لهم كيف ظهر الرجل فجأة وكيف أنه لم ينتبه إلى وجوده حتى اقتحم إطار الصورة و...

وتوقف فجأة عن سرد ما لديه، وبدا التردد واضحًا على وجهه على نحو جعل مفتش الشرطة يسأله في اهتمام:

- ماذا حدث؟ ما الذي أقلقك إلى هذا الحد؟

تطلع سعيد إلى وجه مفتش الشرطة للحظات في صمت قبل أن يغمغم:

- لقد قال شيئًا قبل موته ولكن.. أعتقد أنك لن تصدقني أبدًا.

أجابه مفتش الشرطة في حسم:

- أخبرني ما قاله أولًا، ولنترك عملية التصديق والنفي هذه لما بعد.

تردد سعيد مرة أخرى ثم قال:

- لقد ذكر شـيئًا عن غزو الأرض وعن شـيء ما أو شـخص ما وصفه بأنه طليعة الغزو، وطلب مني القضاء عليه و...

لم يسـتطع إتمام عبارته مع تلك النظرة المندهشـة في عيني مفتش الشرطة، فهز رأسه متمتمًا:

- ألم أقل لك أنك لن تصدقني أبدًا

ولكن المفتش قال في دهشة:

- أأنت واثق من أنه قال هذا؟

هزّ سعيد كتفيه وقال:

- ولماذا أكذب؟

أدار المفتش بصره في حيرة إلى حيث ينقلون جثة الرجل، ثم مطّ شفتيه وقال:

- مسكين، لا ريب أنه مجنون، مجنون تمامًا.

ثم اعتدل يسأل سعيد في اهتمام:

- ولكن أين يمكنني مقابلتك لو احتجت إلى سماع قولك مرة أخرى؟

التقط سعيد من جيبه بطاقة أنيقة، ناولها لمفتش الشرطة وهو يقول:

- ستجدني معظم الوقت في معملي الخاص، فأنا مصور محترف.

قرأ المفتش البطاقة وابتسم في هدوء وهو يقول:

- شكرًا يا سيد سعيد، أظننا سنلتقي قريبًا، قريبًا جدًا.

لم يكن سعيد يتصور أن عبارة المفتش صحيحة إلى هذا الحد، وأن لقاءهما التالي سيكون في مساء اليوم نفسه في مختبر سعيد.

كان يستعد لإظهار صور الفيلم الذي التقطه في الصباح عندما وصل المفتش، فاستقبله في اهتمام وقال في حماس:

- تصوّر يا سيادة المفتش، لقد عثرت على حقيقة ذلك القتيل، كنت أعلم منذ اللحظة الأولى أن وجهه مألوف.

بدا له المفتش هادئًا وهو يقول بابتسامة بسيطة:

- حقًا؟

أجابه سعيد في حماس:

- نعم، لقد عدت من الحديقة وأخرجت بعض الصحف القديمة، ورحت أبحث فيها عن خبر يحمل صورته، كنت واثقًا من وجود مثل هذا الخبر، لقد وجدته بالفعل.

سأله المفتش في هدوء:

- وما الذي وجدته؟

التقط سعيد الصحيفة وهو يقول:

- انظر ماذا يقولون عنه هنا، لقد كان عالمًا من علماء الفلك المعروفين، ثم أعلن منذ شهر واحد أن بعض المخلوقات الفضائية تسعى لاحتلال الأرض، وحذَّر من هذا.

ابتسم المفتش وقال:

- وماذا بعد؟

هز سعيد كتفيه وقال:

- هذا كل ما ذكروه.

ثم أضاف:

- معذرة يا سيادة المفتش، هل يمكننا أن نوا صل الحديث داخل غرفة الإظهار؟ كنت قد بدأت في إظهار الفيلم و...

قاطعه المفتش في هدوء:

- لا بأس، ليس لديّ مانع لهذا.

صحبه سعيد إلى حجرة الإظهار، وانهمك في إعداد الفيلم في حين سأله المفتش في هدوء:

- هل تصدّق ما قاله ذلك العالم؟

هزّ سعيد كتفيه وقال:

- لست أدري، لقد أصرّ على قوله حتى وهو يحتضر.

ومطّ المفتش شفتيه وقال:

- هذه هي النقطة.

سأله سعيد:

- ماذا تعني؟

اعتدل المفتش وقال:

- لقد أجريت تحرياتي عن جثة الرجل بعد أن تركته مباشرة، وعرفت أنه عالم فلكي، وأنه خرج فجأة بتلك النظرية العجيبة عن وجود محاولة لغزو الأرض، عن وصول جاسوس من سكّان الفضاء في محاولة لدراسة مخلوقات كوكبنا، وأن هذا الجاسوس هلامي بلا شكل، يمكنه احتلال أجساد الضحايا والانتقال من جسد إلى آخر.

تمتم سعيد مبتسمًا:

- فكرة أشبه بروايات الخيال العلمي.

قال المفتش في حسم:

- ليس عندما تصدر عن عالم فلك له سمعته في هذا المجال.

سأله سعيد في دهشة:

- هل تصدّقه؟

ابتسم المفتش وقال:

- كان من الممكن أن أفعل لولا ما أصـابه بعدها من تصـرفات عجيبـة وأفعـال غير متزنـة انتهـت بمحـاولتـه تحطيم المنظـار لمرصـد حلوان حيث يعمل، ثم إصـابته بانهيار عصـبي حاد جعل رفاقه ينقلونه إلى مستشـفى الأمراض النفسـية والعصـبية التي فرّ منها أمس قبل أن يلتقي بك ويلقى مصرعه.

هتف سعيد في دهشة:

- إذن فقد كان مجرد رجل مجنون؟

أومأ المفتش برأسه إيجابًا وقال:

- نعم للأسف.

شـعر سـعيد بأسـف حقيقي لأن عالمًا لامعًا كهذا أصـيب بالجنون، وتحركت يده بلا حماس وهي تداعب الصـورة الغارقة في محلول الإظهار و...

وفجأة اتسعت عيناه في ذهول وهو يحدّق في الصورة..

وفجأة أيضًا سمع المفتش من خلفه يقول في صرامة:

- أعطني هذه الصورة.

التفت إليه سعيد في حِدة وذعر، ورأى ذلك السلاح العجيب في يده فهتف:

- إذن فهي حقيقة، لم يكن الرجل كاذبًا.

كرر المفتش في صرامة:

- قلت لك أعطني هذه الصورة والنسخة السلبية أيضًا.

هتف به سعيد:

- أنت واحد من غُزاة الفضاء، أليس كذلك؟

ابتسم المفتش في سخرية وقال:

- لم أكن كذلك حتى افترقنا هذا المساء، ولكن هناك في المشرحة وأنا أنحني لفحص جثة العالِم كان الانتقال من جسده سريعًا، وأنا مضطر لتنفيذ أوامر ذلك القابع في أعماقي وإلا..

لم يتم عبارته..

ولم يكن هناك داعٍ لهذا..

وفي مرارة ألقى سـعيد نظرة أخرى على الصـورة التي بدت فيها الزوجة مع طفليه، وخلفهم العالم الفلكي المتهالك مع ذلك الطيف البنفسجي المخيف الذي يفارق جسده..

ذلك الطيف هو الجاسوس..

هو طليعة الغزو..

وفي صرامة سأله المفتش:

- والآن هل أخبرك بشـيء آخر قبل أن يلقى مصـرعه؟ هيا قل الحقيقة كلها، فقد فارقت جسده قبل مصرعه، وأريد أن أعرف كل لحظة وكل كلمة نطق بها بعد مفارقتي جسده.

هزّ رأسه في أسف وقال:

- لقد أخبرني بما أخبرتك به فحسب، بالإضافة إلى..

بتر عبارته مرة أخرى، فسأله المفتش في توتر:

- إلى ماذا؟

أشار سعيد إلى علبة صغيرة في ركن من أركان معمله وقال:

- أعطاني هذه، وحذرني من منحك فرصـــة الدخول إليها، إذ أنها الوسيلة الوحيدة لـ..

قاطعه المفتش في لهفة:

- افتحها.

تراجع سعيد هاتفًا:

- لا، لا يمكنني هذا، إنني أجهل محتوياتها وقد تنفجر وتقضـــي علينا معًا.

بدا التردد للحظات على وجه المفتش، ثم تحوّل التردد إلى ألم، وأطلق صرخة مكتومة قبل أن يتهالك على مقعده.

وعلى ضوء المعمل الخافت رأى سعيد طيفًا بنفسجيًا بشعًا في حجم كرة صـــغيرة يفارق جســـد المفتش ويتجه نحو العلبة الرصاصية الصغيرة ويغوص داخلها و...

وبكل سرعته قفز سعيد يلتقط غطاء العلبة، ثم يضعها فوقها ويغلقها في إحكام.

وجلجلت ضحكته داخل معمله الصغير قبل أن ينتفض المفتش ويحدّق في السلاح العجيب في يده هاتفًا:

- يا إلهي! هل رحل؟

أطلق سعيد ضحكة أخرى وقال في ظفر:

- بل بقي، إنه لم يقرأ تراثنا القديم، ولذلك وقع في الخدعة نفسها كمارد قصة لص بغداد، وأقنعته بدخول القمقم بنفسه.

ردد المفتش في دهشة:

- القمقم!

أجابه سعيد:

- نعم، إنها علبة من الرصاص لحماية أفلام التصوير من الأشعة الفاحصة في المطارات، إنه داخلها الآن، وهي محكمة الإغلاق، ولن يمكنه الإفلات منها أبدًا.

ثم ضحك مرة أخرى وأضاف:

- ها نحن أولاء قد حطّمنا الغزو وبعلبة صغيرة من الرصاص، الآن يمكنك أخذ الصورة والعلبة.

ابتسم المفتش وقال وهو يلتقط العلبة الرصاصية والصورة:

- نعم، لقد حطمنا الغزو.

ومن داخله كان هناك كيان آخر يبتسم..

كيان بنفسجي..

أبدًا

(قصة رومانسية كاملة)

- أبدًا، لن أتزوج أبدًا.

تنهدت والدة سلوى في حسرة عندما نطقت ابنتها هذه العبارة في عناد، واتجهت إليها تربت على ظهرها في صبر وأسى وهي تقول:

- لماذا يا بنيتي؟ لماذا ترفضين الزواج على هذا النحو؟ إنه خامس عريس ترفضينه دون حتى أن تجالسيه أو تستمعي إليه!

قالت سلوى في حِدة:

- لست في حاجة إلى هذا، فما دام يقبل الزواج بهذا الأسلوب فهو من طراز يختلف عن الطراز الذي يصلح لي.

ثم لوحت بكفها هاتفة:

- لماذا تسعان لتزوجي؟

قالت أمها في لوعة:

- لقد بلغتِ الثامنة والعشرين يا بنيتي و...

قاطعتها ثائرة:

- وماذا؟ أتعنين أنه ينبغي أن أقبل من يتقدم لخطبتي الآن خشيةً أن أحمل في المستقبل لقب عانس؟

انقبض قلب أمها لسماع الكلمة وقالت:

- أنا لم أقل هذا.

قالت سلوى في غضب:

- ولكنك تقصدينه.

زفرت أمها مرة أخرى في أسى، ثم عادت تربت على كتف ابنتها وشعرها قائلة:

- كفى يا سلوى، لا تفسدي الأمور بهذا الأسلوب دائمًا يا بنيتي.

عقدت سلوى ساعديها أمام صدرها وهي تقول في عناد:

- لن أقبل هذا العريس.

قالت أمها:

- لا معنى لاتخاذ مثل هذا القرار قبل أن تلتقي به، لقد دعاه والدك لزيارتنا الليلة.

قالت في حِدة:

- فليكن، سأستقبله الليلة ما دمتما تطلبان هذا، ولكني لن أتزوجه، لن أقبل الزواج بهذا الأسلوب أبدًا.

لم تعترض أمها هذه المرة..

يكفيها أن سلوى وافقت على مقابلة الشاب المتقدم لخطبتها ولأول مرة، ولكن قلب الأم لم يهدأ منذ تلك المناقشة وحتى المساء.

حاولت بكل جهدها إقناع ابنتها بوضع مساحيق التجميل على وجهها، أو حتى طلاء شفتيها بطلاء زاهٍ، أو ارتداء ثوب جديد، ولكن سلوى رفضت كل هذا في عناد وقالت في صرامة:

- لست أحب وسائل الخداع العتيقة هذه، سأستقبل العريس كما أنا، دون زينة أو مساحيق تجميل، وليقبلني هكذا أو يرفضني، هذا شأنه.

قالت أمها محاولة استرضاء الابنة العنيدة:

- في زماننا كنا..

قاطعتها سلوى في حِدة:

- كنتن تعرضن أنفسكن في سوق جواري سخيف وكنتن...

أسرعت الأم تنصرف قبل أن تلقي ابنتها على مسامعها تلك المحاضرة التقليدية في الفارق بين الجيل القديم والجيل الجديد، والتقاليد العتيقة وخلافهم.

ثم وصل العريس في المساء، استقبله والدها في حفاوة بالغة، واستقبلته والدتها في أمل، أما هي فقد استقبلته في فتور شديد وهي ترتدي سروالًا أمريكيًا أزرقَ، وقميصًا فضفاضًا، مع تصفيفة شعر بسيطة وبلا مساحيق تجميل.

ولكن العريس استقبلها بابتسامة هادئة رصينة وهو يقول:

- مســـاء الخير يا آنســـة ســـلوى، تبدين تمامًا كما كنت أراكِ في الكلية.

تطلّعـت إليـه في دهشـــة وانتبهـت إلى أن ملامحـه مـألوفـة، فغمغمت:

- أكنا زميلين في الكلية؟

هز رأسه نافيًا وهو يجيب:

- ليس بـالمعنى المعروف، كنـا نتشـــارك نفس المبنى، ولكنني أنتمي إلى كلية أخرى، وإلى جيل يسبقك بأربع دفعات كاملة.

ثم سألها في اهتمام:

- أما زلتِ تهوين الرسم؟

قالت في دهشة:

- أتعلم هذا أيضًا!

أجاب بابتسامة جذّابة:

- من الطبيعي أن يعلم المرء الكثير عمن يهتم بشؤونهم.

شـــعر والداها بارتياح لهذه البداية الموفقة التي نجحت في جذب انتباه ابنتهما، فانسحبا من المجلس في هدوء ليتركا للشابين فرصة المناقشة والتعارف.

والعجيب أن سلوى لم تنتبه إلى انصراف والديها وهي تسأل الشاب في اهتمام:

- اسمك رأفت، أليس كذلك؟

أومأ برأسه إيجابًا وقال:

- نعم، رأفت هشام، محاسب قانوني ومشرف حسابات بشركة البنيان للمقاولات، وأمتلك سيارة حديثة وشقة فاخرة.

قالت في تحدٍ:

- أمن المفروض أن يبهرني هذا؟

ضحك قائلًا:

- كلا، ولكنني أقدم نفسي، فالمفروض أن تعلمي كل شيء عن الشـــاب الذي يرغب في الزواج منك، وهذا أمر طبيعي، أليس كذلك؟

قالت في عناد:

- سيارتك الحديثة وشقتك الفاخرة لن يكونا أبدًا السبب في موافقتي أو رفضي.

أجابها في هدوء واثق:

- بالطبع، وكذلك جمالك لن يكون أبدًا سببًا في سعادتي بالزواج منك.

شعرت أن العبارة تهينها على الرغم من منطقيتها، ولكنها قاومت هذا الشعور الذي بدا لها أشبه بمشاعر نساء الجيل السابق، وسألته:

- لماذا تقدمت للزواج مني إذن؟

أجابها على الفور:

- لأنك ذكية ومحترمة.

أدهشها جوابه السريع، فحدقت في وجهه مرددة:

- ذكية ومحترمة؟!

أومأ برأسه إيجابًا وقال:

- بالطبع، قد تكون الأنثى رائعة الجمال ولكن غباءها يجعلها تهمل هذا الجمال وتفسده، أما الأنثى الذكية فستكون دائمًا ملكة جمال في عين زوجها حتى لو كانت تفتقر إلى الجمال فعلًيا، والأنثى المحترمة هي في نظري أعظم زوجة في الدنيا لأنها سترفع من قدر زوجها وشأنه، وستجبر الآخرين على احترامه وتقديره، كما أنها ستنقل صفتها هذه إلى أبنائها فيما بعد، وهذا أعظم ما في الأمر.

تطلعت إليه مبهورة، ثم اعتدلت في مجلسها وسألته في خفوت:

- أهكذا تفكر بالفعل؟

أجاب في هدوء:

- هكذا ينبغي أن يفكر أي إنسان عاقل.

ظلت تتطلع إليه في دهشة، ثم تنحنحت في قوة وكأنها تنفض عنها دهشتها، واستعادت لهجة التحدي في صوتها وهي تقول:

- إذن فهذا سبب رغبتك في الزواج مني، أنني ذكية ومحترمة؟

أجاب على الفور:

- إنها الأسباب الكبرى بالطبع.

سألته في اهتمام:

- أهناك أسباب أخرى؟

أومأ برأسه إيجابًا وهو يبتسم قائلًا:

- بالتأكيد، فأنت واثقة من نفسك، معتدة بشخصيتك و...

صمت لحظة قبل أن يضيف:

- وفاتنة.

شعرت بسعادة فائقة لعبارته حتى أنها ردت مبتسمة:

- حقًا؟!.

ابتسم أكثر وهو يتأمل وجهها هامسًا:

- ألديك شك في هذا؟

تضـــرج وجهها بحمرة الخجل، وأطرقت بعينيها للحظة قبل أن تقاوم في أعماقها ذلك الخجل، فترفع عينيها إليه وهي تقول:

- لا يوجد إنسان يخلو من العيوب.

أجاب في بساطة:

- بالطبع، أنا مثلًا عنيد صـــارم في كثير من الأحيان، وفي أعماقي ديكتاتور كبير.

ردّت في دهشة:

- ديكتاتور؟!

هز كتفيه قائلًا:

- بـالطبع، فـأنـا من الطراز العتيق، أحـب أن أمنح زوجتي كـل حقوقها التي تنص عليها الشـرائع السـماوية، ثم أرفض بعدها التنازل عن أي حق من حقوقي.

تمتمت دون وعي:

- هذا أمر طبيعي.

ابتسم قائلًا:

- سيسعدني كثيرًا لو أنك تعتبرينه كذلك.

عاد وجهها يتضــرّج بحمرة، ولم تقوَ هذه المرة على رفع عينيها إليه أو حتى محادثته، فران على الحجرة صمت طويل قطعه هو بقوله:

- وأنتِ، ما أبرز عيوبك؟

أجابته مطرقة الرأس:

- العناد.

رفع حاجبيه وخفضهما وهو يقول:

- لا تبدو لي صفة سيئة كثيرًا لو أحسن المرء استغلالها، فالعناد في الحق أمر مطلوب، أما في الخطأ فهو كارثة.

أومأت برأسها موافقة دون أن ترفع عينيها إليه، وتمتمت:

- هذا صحيح.

ابتسم في ارتياح، ثم مال نحوها وسألها:

- والآن، ألديك شروط خاصة بشأن الشبكة وثوب الزفاف؟

وجدت نفسها تهتف:

- مطلقًا.

وانطلقت زغرودة أمها تملأ بفرحتها وبهجتها البيت..

وعلى الرغم من مرور خمسة أعوام على زواج سلوى و رأفت إلا أن الحب ما زال ينسج كل يوم خيطًا من خيوطه حول قلبيهما..

تلك الخيوط التي لم تنفصم..

أبدًا.

القَاتِل

(قصة كاملة من الخيال العلمي)

سأصاب بالجنون..

من المؤكد أنني في طريقي إلى هذا بعد كل ما حدث..

أو أنني قد بلغت مرحلة الجنون بالفعل..

على الأقل هذا ما تؤكده الأوراق الرسمية وشهادات هؤلاء الأطباء الذين وضعوني في هذه الحجرة الضيقة التي تحتل مرآة كبيرة أحد جدرانها، وأنا واثق من أنها مرآة مزدوجة، وأنهم يراقبونني من خلفها في اهتمام وانتباه كبيرين.

ولكنني لم أستسلم لمحاولاتهم..

وسأحتفظ بالحقيقة كلها لنفسي..

حقيقة ذلك القاتل..

لا يمكنكم أن تتصـــوروا كيف بدأ الأمر، فقد كنت أفحص بقايا نيزك صغير سقط منذ أسبوع واحد في الصحراء الغربية عندما وجدته أمامي فجأة، لقد انبعث في قلب النيزك كما ينبعث الدخان من المصـباح في قصـة علاء الدين الشـهيرة، وراح يتجسـد أمامي على نحو مذهل وجعلني أحدق فيه في ارتياح كامل. كان كيانًا هلاميًا شـــفافًا يشـــبه الحيوانات الأميبية الأولية، ولكنه يتحرك في بطء وهدوء، ويحيط بي كغلاف من بخار متجمد مخيف، وعلى الرغم من عدم وجود تفاصيل جسدية واضحة له إلا أنني شعرت وكأن عشـــرات العيون تطل منه وتراقبني في اهتمام وإمعان حتى أنني صرخت:

- ما أنت؟! وماذا تريد مني؟

ولكنه أطبق عليّ فجأة..

ولسـت أدري ما إذا كان هذا المصـطلح مناسـبًا أم لا، فهو لم يطبق عليّ بـالمعنى المفهوم، ولكنـه اخترق كيـاني وتســـلـل إلى وجداني كله دفعة واحدة حتى كدت أشـعر به في خلاياي وأنفاسـي وفي كل نبضة تنبعث من قلبي..

لقد امتزج بي تمامًا..

نعم، هذا هو المصطلح الصحيح..

امتزج بي..

وحاولت أن أصرخ..

حاولت وحاولت وحاولت..

ولكنني لم أفعل قط..

كان ذلك الشيء يسيطر عليّ تمامًا، ويعبث بأعماقي وعقلي كيفما يحلو له، وينبش ذاكرتي في بطء وهدوء وكأنه يلتهم ماضيّ كله.

ثم فجأة أيضًا غادر جسدي دفعة واحدة وراح يتكون أمامي،

واتسعت عيناه في ذهول..

وصرخت..

لقد تجسد في هيئة هي نسخة طبق الأصل مني حتى أني لم أعد أعرف أين هو وأين أنا!

حتى عندما تكلم كان يحمل نفس صوتي وهو يقول:

- أنت عالم جيولوجي، إنني سعيد الحظ بالفعل.

تراجعت في سرعة واختطفت مسدسي من درج مكتبي وصوبته إليه صارخًا:

- لست أدري ما أنت بالضبط؟ أو من أنت؟ ولكنني سأقتلك في الحالتين.

ارتسمت على شفتيه ابتسامة شيطانية مخيفة وهو يقول:

- تقتلني أم تقتل نفسك؟

ارتبكت أمام سؤاله، وارتجف المسدس في يدي وأنا أقول:

- ماذا تعني؟

هزّ كتفيه في هدوء وقال:

- أنت تفهم ما أعنيه، فأنت نفسك لم يعد باستطاعتك التمييز، إنك لا تثق تمامًا بأنك أنت الشخص الحقيقي وأنا القادم من بعيد، ربما كنت أنت القادم من بعيد وأنا الحقيقي، أليس كذلك؟

كان سؤاله أشبه بالفلسفة السفسطائية، إلا أن عقلي ارتبك مع عباراته ووجدت نفسي حائرًا بالفعل.

مَن منا الأصلي ومن المصنوع؟

وأطلق هو ضحكة شيطانية مخيفة وكأنه قرأ أفكاري وقال:

- أرأيت؟ لقد غصت في ذاكرتك حتى الأعماق، وامتصصت جزءًا من رحيق حياة كل خلية من خلاياك، وامتزج كياني بكيانك، ثم انقسمنا إلى كيانين متشابهين، ففيك جزء مني وفيّ جزء منك.

لم أشعر بالارتياح لحديثه، ولكنني خشيت أنه على حق بدليل تلك الحيرة التي تملأ كياني وأنا أتطلع إليه، وذلك التردد الذي أصاب سبابتي وأنا أصوب إليه المسدس.

ولكن لا..

ينبغي أن أضغط الزناد..

لن أترك شيئًا شيطانيًا كهذا حرًا طليقًا على سطح كوكبي.

أما هو فقد بدا هادئًا لا مُبالي وهو يستدير إلى مكتبي وينحني ليلتقط بعض الملفات الســرية جدًا قائلًا في هدوء وكأنه يزيد من ارتباكي:

- وما دُمنا لا نعرف من أنت ومن أنا بعد فلنخفِ هذه الملفات السرية حتى لا يتطلع عليها أحدنا، ولا...

ولم أدعه ليتم عبارته..

لقد اختطفت جسمًا ثقيلًا وهويت به على مؤخرة رأسه وبكل ما أمتلك من قوة..

وجحظت عيناه للحظة وهو يندفع إلى الأمام ويرتطم بالمكتب ثم يهوي على الأرض.

وبسرعة انحنيت لأفحصه، وارتجف جسدي كله..

لقد مات..

لم يعد في جسده نبض أو نفس يتردد..

وراح جسدي يرتجف..

لقد قتلته..

قتلت ذلك الشيء القادم من الفضاء..

وتراجعت لأنكمش في ركن الحجرة وأحدق في الجسد الملقى أمامي ذاهلًا مرتجفًا، يسري التوتر والرعب في كل خلية من خلاياي.

إنك لا ترى نفسك جثة هامدة في كل يوم.

وهذا الشيء الراقد أمامي هو أنا.

أنا بكل ملامحي وتفاصيلي..

ولست أدري كم بقيت هكذا صامتًا ساكنًا منكمشًا في ركن الحجرة، ولكنني انتبهت على صوت ضابط شرطة يميل نحوي قائلًا:

- أستاذ ذهني، أنا آسف، ولكنني مضطر لإلقاء القبض عليك.

تطلّعت إليه للحظة في ذهول وشرود قبل أن أسأله:

- لماذا؟

أشار إلى الجثة الملقاة مجيبًا:

- بتهمة القتل.

هممت بشرح الأمر كله، ولكنه استطرد على الفور:

- قَتْلْ مساعدك منصور.

قفزت من مكاني وأنا أهتف:

- قتل مَن؟

كرر في أسى وهو يتطلع إلى الجثة:

- مساعدك منصور، لماذا قتلته يا أستاذ ذهني؟! لماذا؟!

خُيل إليَّ أن الضـــابط قد فقد عقله، فالجثة الملقاة أمامه هي جثتي أنا، ليس هناك أدنى شـك، كيف لا يرى الملامح والمعطف واللحية القصيرة؟!

إن مساعدي منصور حليق نحيل ضئيل..

ولكن الضابط كرر في شيء من الحزم هذه المرة:

- هيا يا أستاذ ذهني، أنا واثق من أن لديك تفسير لهذا.

صِحت في وجهه:

- بالطبع لدي تفسير، ولكن..

وانهرت مستطردًا:

- مَن يصدقني؟!

قال الضابط وهو ينحني ليعاونني على النهوض:

- أخبرنا ما لديك، وأعدك أن نبذل قصارى جهدنا لتصديقك.

هتفت به:

- حقًا؟! هل ستصدق أنني وجدت كيانًا فضائيًا في ذلك النيزك؟ هل تصدق أنه تجسد في هيئتي، وكاد يقتلني لولا أن بادرت أنا بقتله؟

حدّق في وجهي بدهشة بالغة، ثم غمغم:

- حسنًا يا أستاذ ذهني، حسنًا، أخبرهم كل ما لديك أثناء التحقيق.

أزحت يده في حِدة وأنا أهتف:

- أي تحقيق؟! لقد أنقذتكم جميعًا، أنقذت الأرض كلها من كيانٍ قاتل.

جذبني في شيء من العنف هذه المرة وهو يقول:

- هيا يا أستاذ ذهني، إنهم ينتظروننا.

واتسعت عيناي في ذهول..

لقد رأيت من خلفه ذلك الشيء الشبيه بي وهو ينهض جالسًا، ويبتسم نفس الابتسامة الشيطانية المخيفة، ثم يصوّب مسدسه إلى الضابط..

وصرخت في ارتياع:

- احترس!.

تراجع الضابط في دهشة وهتف مستنكرًا:

- ماذا تفعل؟

ودوت الرصاصات في الحجرة..

ورأيت الضابط يسقط جثة هامدة، والدماء تنزف من صدره وعنقه وجبهته.

أما ذلك الكيان الشيطاني فقد أطلق ضحكة مخيفة وهو يقول:

- هل رأيت؟ لن يصدقك أحد.

ثم عاد يرقد على ظهره جثة هامدة.

وصرخت بكل قوتي:

- أوقفوه!، أوقفوا ذلك القاتل.

ولكنهم اقتحموا الحجرة وانقضوا عليّ ورحت أصرخ:

- ليس أنا أيها الأغبياء! اقبضوا عليه، هو، هو.

ورحت أروي القصة وأكررها مرات ومرات ومرات، والكل يستمع إليَّ في انتباه، ثم يتبادلون نظرات الدهشة والحيرة، ويدونون أشياء وأشياء في أوراقهم ومذكراتهم.

وفي النهاية قرروا إيداعي مستشفى الأمراض العقلية تحت الملاحظة.

وفي المستشفى جاء رئيسي لزيارتي، وتحدث إليَّ طويلًا عن غاز خاص تم العثور على بقاياه في قلب النيزك، وهو يسبب شيئًا من الجنون لمن يستنشقه، ولكنني لم أصدق حرفًا واحدًا مما قاله، إنه - كعادة كبار المسؤولين - يخفي الحقيقة بحجة عدم إصابة العامة بالذعر.

وانصرف الجميع عني، وقد أراحتهم فكرة الغاز والجنون..

ولكنني لست مجنونًا..

أنا عاقل..

بل أعقل مخلوق فيهم جميعًا.

ولكن المشكلة التي تؤرقني هي من أنا؟

أنا الدكتور ذهني الحقيقي، أم ذلك الكائن الفضـــائي الذي امتزج به؟

لم أجد جوابًا شـــفافًا حتى هذه اللحظة، وربما ســـبب ذلك الجسد البشري الذي يعوق حركة مادتي الغازية..

ربما لو تحررت منه لصار الجواب أيسر وأسهل..

ربما!

لمسة

(قصة رومانسية كاملة)

- لا بد أن نفترق.

انتفض كريم في دهشـــة وهو يحدق في وجه شـــهيرة بعد أن أطلقت هذه العبارة، وارتجفت الكلمات على شفتيه وهو يغمغم:

- ماذا بكِ يا شهيرة؟

قالت في عصبية:

- نفترق يا كريم، هذا هو قراري الأخير.

تطلع إليها للحظة في ارتياع، فتابعت وهي تتحاشى النظر إلى عينيه:

- لقد فكّرت في أمرنا جيدًا، ووجدت أن علاقتنا غير منطقية، فأنا أكبُرك بعام كامل، وأدرس في كلية عملية، في حين تدرس أنت في كلية نظرية.

قال في أسى:

- ولكنني سأحصل على شهادة الليسانس هذا العام، ويمكنني التقدم لخطبتك، وفور حصولي على عمل مناسب و...

قاطعته في توتر:

- مستحيل يا كريم، مستحيل.

ارتجفت شفتاه وهو يقول:

- ولكنني أحبك.

تنهدت قائلة:

- أعلم هذا.

قال في شيء من الرجاء:

- وأنتِ تحبينني.

هتفت فجأة:

- هذا لا يكفي، إنك تتحدث على نحو عاطفي بحت، أما أنا فأفكر بشكل عملي منطقي، كيف يمكننا أن نتزوج؟ ومتى؟ لقد حسبت الأمر بعقلي، ووجدت أن زواجنا مستحيل.

قال في عصبية:

- الإنسان لا يحسب كل أمور الدنيا بعقله.

قالت محتدة:

- خطأ، الإنسان الذي لا يحسب كل الأمور بعقله هو إنسان فاشل، فالعاطفة وحدها لا تقيم حياة سعيدة.

قال في توتر:

- ولا العقل وحده.

نهضت في حزم وهي تقول:

- ليس هذا ما أؤمن به.

وحملت حقيبتها مستطردة:

- وعلى أية حال لست هنا لمناقشة الأمر، لقد اتخذت قراري، الوداع يا كريم.

هتف بها وهي تبتعد:

- شهيرة! إنني أحبك.

ولكنها لم تتوقف..

ولم تلتفت إليه..

لقد أسـرعت تبتعد بكل ما تملك من قوة و كأنها تفر من صوته ومشاعره وحبه..

نعم، إنها تحبه..

ليس لديها أدنى شك في هذا.

ولكن عقلها يرفض مثل هذه العلاقة..

يرفضها بشدة..

وطوال الطريق إلى منزلها راحت تكتم دموعها في إصـرار إلا أنها لم تكد تغلق باب حجرتها خلفها حتى وجدت نفسـها تبكي بحرارة.

لقد اتخذت القرار بمحض إرادتها..

وبمنتهى الحزم..

فلماذا تبكي الآن؟

لماذا تشــعر وكأنها قد انتزعت قلبها بيدها، ووطِئته بقدمها فسحقته على أرض المنطق والعقل؟

ولكنها لن تتراجع..

لن تتراجع أبدًا..

ستعتصر قلبها..

ســتدفن خفقاته في صــدرها، وتخفي آلامها عن وجهها، وتمحو حزنه من عينيها..

لن تستسلم أبدًا.. أبدًا..

وكجزء من قرارها رفضــت تمامًا التحدث إلى كريم، أو مناقشة أمر انفصالها عنه مع شقيقتها أو أصدقائها المشتركين..

وفهم كريم الموقف..

وانسحب..

ومع انســحابه لم تشــعر بذلك الارتياح الذي تصــوّرت أنها ستشعر به.

لقد شعرت بالخواء..

شعرت وكأنها أصبحت تحيا في فراغ تام..

ولكنها قاومت..

وتخرّج كريم من كليته النظرية، وسافر للعمل في الخارج، في حين انهمكت هي في دراستها العملية حتى نالت شهادتها بعده بعِدة أشهر، والتحقت بالعمل في مكان أنيق معروف قررت أن تصبح واحدة من قادته بعد سنوات قليلة لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة..

وفي عملها التقت بعارف..

شاب طموح عملي تخرج من نفس كليتها ويسبقها بعام واحد، وعلى نحو مباشر وبشكل عملي تمامًا فاتحها عارف برغبته في التقدم لخطبتها..

وحسدتها زميلاتها على فوزها بقلب عارف الذي يتوقع له الجميع مستقبلًا مرموقًا في هذا العمل بالذات.

ولكنها لم تشعر بالسعادة!

كان عقلها شديد الاقتناع بعارف، ولكن قلبها ما يزال هادئًا مستكينًا، يتطلع إليه في رصانة وبشيء من اللامبالاة.

إنها لم تشعر بخفقات قلبها قط كلما التقت به.

لم تراودها اللهفة يومًا لرؤيته..

ولكنها مقتنعة به تمام الاقتناع..

والعجيب أنها لم تعلن له موافقتها على الفور..

لقد طلبت منه مهلة للتفكير..

ومنحها عارف المهلة..

منحها إياها في هدوء وبساطة، ثم عاد ينهمك في عمله وكأنه لا يشعر بوجودها..

وكانت المهلة أسبوعًا واحدًا..

وفي سرعة مضت أيام الأسبوع..

فجأة وجدت أنها مطالبة بإعلان قرارها في الصباح التالي..

والعجيب أن عارف لم يشِر إلى المهلة قط طوال الأسبوع، ولكنه التقى بها في اليوم السابق لانتهاء المهلة، وقال في حسم:

- موعدنا غدًا.

أجابته في خفوت:

- بإذن الله.

تطلّع إليها للحظة، ثم قال في هدوء:

- أريد جوابًا حاسمًا وصريحًا.

تنهدت وقالت:

- ستحصل عليه.

انصـرف على الفور دون أن يلتفت ليلقي نظرة أخرى عليها، فاتجهت إلى مكتبها وراحت تعيد النظر في كل ما يتعلق به.

ومرة أخرى وافق عقلها بلا تردد على الارتباط به، وامتنع قلبها عن التصويت وتركها حائرة مرتبكة.

وهتفت في أعماقها:

- ماذا أريد بالضبط؟! ألم أصرّ على الاستجابة لصوت عقلي؟

واتخذت قرارها حسمًا..

ستعلن موافقتها على الارتباط به.

ولن تنتظر الغد.

ستعلن موافقتها الآن..

في هذه اللحظة..

ونهضـــت من خلف مكتبهـا في حزم، واتجهـت إلى بـاب الحجرة وفتحته في قوة و..

وسرت في جسدها ارتجافة قوية..

لقد وجدته أمامها مباشرة.

كريم..

كريم بشحمه ولحمه..

كريم بابتسامته الهادئة ونظراته الدافئة الحنونة.

وبصوت مرتبك غمغم كريم:

- معذرة، كنت مارًا من هنا و... و..

لم يســتطع إتمام عبار ته وهو يتطلع إليها في لهفة و حب، فأفسحت له الطريق وهي تقول:

- أهلًا بك يا كريم، تفضل، تفضل على الرحب والسعة.

دلف إلى حجرتها في ارتباك، واتخذ المقعد المقابل لمكتبها، فاتجهت هي للجلوس خلف مكتبها وهي تقول:

- حمدًا لله على سلامتك، متى عدت؟

أجابها في خفوت:

- اليوم، بل الآن.

ثم ازدرد لعابه وقال:

- الواقع أنني أتيت مباشرة من المطار إلى هنا.

قالت في دهشة:

- أين حقائبك إذن؟

تخضّب وجهه بحمرة خفيفة وهو يجيب:

- لست أحمل أية حقائب، هذه فقط.

وأخرج من جيبه علبة مخملية صغيرة ناولها إيا ها وهو يستطرد مرتبكًا:

- سوف، سوف أعود بطائرة المساء.

أدهشـها أن يأتي ويرحل في يوم واحد، ولكنها التقطت العلبة وهي تسأله:

- ما هذه؟

ابتسم في حنان وهو يقول:

- الهدية، هدية عيد مولدك، كل عام وأنتِ بخير.

شـهقت مع مرأى ذلك الخاتم الماسـي الرائع الذي يسـتقر داخل العلبة، ثم رفعت عينيها إليه غير مصدّقة.

إنه يتذكر تاريخ مولدها، وسـافر من حيث يعمل إليها ليقدم لها هديته ويعود في اليوم نفسه..

يا لها من لمسة رائعة!

وخفق قلبها بشدة.

ولأول مرة منذ أن افترقا تشعر بلذة الحب واللقاء..

وفي خجل وارتباك غمغم كريم:

- هل.. هل راقت لكِ الهدية؟

ابتسمت في سعادة وهي تقول:

- إنها شبكة رائعة.

برقت عيناه في سعادة وهو يهتف:

- شهيرة! هل تعنين؟

أجابته في حب واض:

- نعم، لو أنك غفرت لي.

هتف في فرح غامر:

- غفرت لكِ؟! وهل نسيت حبكِ لحظة واحدة يا حبيبتي؟!

وفي مساء اليوم نفسه كان يضع دبلته في إصبعها، وقلبها يخفق في شدة..

لقد استعادت كل حبها له بلمسة..

لمسة حب واحدة..

التائه

(قصة رومانسية كاملة)

الأربعون على الأبواب، والعمر يمضي

ترددت تلك العبارة في رأس فكري للمرة الألف وهو يستقبل عيد مولده هذا الصباح.

إنه عامه الأربعون..

نقطة الانتقال من عالم الشباب والرجولة إلى مرحلة الكهولة وأعتاب الشيخوخة..

وعندما ذكر هذا لوالده قهقه ضاحكًا وقال وهو يربّت على كتفه في حرارة:

- ماذا أقول أنا إذن وأنا سأحتفل بعيد مولدي السادس والستين بعد شهر أو يزيد؟

كان والده يقولها وهو مفعم بالحيوية والنشـاط، وابتسـامة تملأ وجهه الباسـم الذي تحيط به هالة من الشـعر الأشـيب الذي زاده مهابة ووقارًا.

ولكن فكري كان يشعر بأنه أكبر من والده.

ربما لأنه لم يحظَ بعد بما حظي به والده منذ أن بلغ ربع قرن بالتمام والكمال..

لم يتزوج بعد.

وتنهد فكري في أسى وهو يستعيد ذكريات مضت.

ذكرى تلك المرة الوحيدة التي حاول فيها الزواج.

كان في الرابعة والعشـرين من عمره، تخرّج منذ عام واحد من كلية التجارة، والتحق بالعمل في بنك وطني صـغير عندما التقى بزميلته هبة التي ربط الحب بين قلبه وقلبها منذ عامهما الأول في الكلية، وقال في لهفة:

- هبة، أعتقد أنه يمكنني التقدم لطلب الزواج منكِ الآن.

كان يتوقع منها فرحة عارمة وسعادة لا حد لها وهما اللذان يخططان للزواج منذ تخرجهما، ولكنه فوجئ بوجهها يشحب، وبعينيها تغرورقان بالدموع، وبشفتيها ترتجفان في مرارة، فهتف بها جزعًا:

- ماذا حدث يا هبة؟

يومها تركت دموعها تغمر وجهها الجميل وهي تخفض عينيها قائلة:

- لقد تقدم لي عريس آخر.

انتقل شحوبها إليه، وقفزت ارتجافتها إلى شفتيه وصوته وهو يقول:

- عريس آخر؟

بكت في مرارة وهي تشرح له كيف رآها ذلك المقاول في أثناء عودتها إلى منزلها، وكيف تبعها وعرف عنوانها واسمها، ثم تقدم لطلب يدها من والدها الموظف البسيط، واعدًا إياه بأنه لن يطالبه بأي شيء، وسيتكفل وحده بكل متطلبات الزواج إلى جانب استعداده لشراء شبكة غالية الثمن، ودفع مهر محترم، وإقامة حفل

زواج يليق بمقامه، وتجهيز شـــقة فاخرة بأفخم الأثاث وأحدث الأدوات..

ولم يجد والدها مبررًا للرفض وهو الذي يستيقظ كل صباح مهمومًا يتساءل، كيف يمكنه تجهيز بناته الثلاث للزواج؟

كانت بالنســبة إليه فرصــة لا تعوَّض لتزويج كبرى بناته دون أن يتكلف قرشًا واحدًا..

وكانت الموافقة فورية، وتمت قراءة الفاتحة وتحديد موعد الخطبة والزواج..

واســتقبل فكري حديثها آنذاك كمن يتلقى صــدمة كهربية عنيفة.

لقـد انتفض جســده في عنف، وجلس يحـدق فيهـا ذاهلًا مصــعوقًا حتى نهضــت هي تمســح دموعها وهي تقول في همس حزين:

- وداعًا يا فكري، لن أنساك أبدًا.

وانهار هو تمامًا..

لم يستطع أبدًا استيعاب فكرة العريس الثري الذي يظهر فجأة ملوحًا بأمواله، فيخطف قلبًا شابًا ويحطّم آخر.

وفي اليوم نفسه تسلل ليلقي نظرة على ذلك المقاول، وهو يتمنى أن يجده ضخمًا أصلع الرأس، تحيط بكرشه الضخم حلّة غالية الثمن فاسدة الذوق.

ولكن الصورة جاءت مختلفة تمامًا..

لقد وجد رجلًا وسيمًا أنيقًا، قوي الشخصية، مهاب الطلعة.

وفي حفل الزفاف الذي حضره خلسة تبين له أن هبة قد انتبهت إلى كل تلك الصفات في عريسها، فقد كانت هناك ابتسامة خلّابة تضيء وجهها وهي تتأبط ذراعه وتصعد معه إلى مسرح صغير لتقطيع كعكة الزفاف الضخمة.

وبكى فكري طويلًا..

بكى حتى جفّت دموعه، ثم اتخذ قراره بعدم الزواج إلى الأبد، والتركيز على بناء مستقبله.

وفي اليوم التالي استقال فكري من عمله في البنك، وقرر اقتحام عالم الأعمال الحرة.

وكانت أنجح خطوة في حياته.

ففي الأعوام التالية راح يتنقل من نجاح إلى نجاح، واشتهر بحسن سيرته في مجال بيع السيارات المستعملة حتى افتتح معرضًا لبيعها في منطقة هادئة أنيقة، ثم لم يلبث أن حصل على توكيل لبيع واحدة من أشهر طرازات السيارات في العالم، وانضم اسمه إلى قائمة كبار رجال الأعمال في مصر.

ولكنه لم يتزوج بعد..

لقد انهمك في عمله تمامًا حتى أنه نسي نفسه ومستقبله، ولم ينتبه إلى أنه لم يتزوج حتى أصبح على أعتاب الأربعين.

لحظتها بدا كالتائه في صحراء الحياة الجرداء، يلهث من أجل قطرة ماء ولمحة من الظل.

وفجأة أيضًا بدأت عيناه تتبعان الحسناوات في رواحهن وغدوهن، وقلبه يخفق مع كل وجه جميل وابتسامة فاتنة..

وفي صباح يوم مولده تضاعف لديه هذا الإحساس عشرات المرات.

إحساس التائه..

وعندما زار أمه وانحنت لتطبع قبلة على وجنته، وتهنئه بعيد مولده فاجئها قائلًا:

- أريد أن أتزوج.

لم تصدق الأم نفسها في البداية وهي التي لطالما ألحّت عليه ليتزوج، ثم تهللت أساريرها وهي تهتف في سعادة:

- مبارك، مبارك.

ثم مالت نحوه هامسة في جذل:

- أهناك واحدة بعينها؟

هزّ رأسه نافيًا وهو يجيب:

- كلا، ابحثي لي عن زوجة مناسبة.

اعتدلت أمه ووجهها يهتف بالبشر، وقالت في حماس:

- غالٍ والطلب رخيص.

وفي المساء نفسه وهو يطفئ شموع عيد الميلاد كانت تحمل له عشرات الصور لعشرات الفتيات الجميلات.

وانتقى هو واحدة سحرته ابتسامتها، وخلب جمالها الهادئ لبّه، ولكن والدته قالت:

- إنها للأسف أفقرهن، فوالدها مجرد موظف بسيط و...

قاطعها في حسم:

- هذا لا يهم، سأتكفل بكل شيء، أخبريهم هذا، المال لا يهمني قط.

وابتسمت أمه قائلة:

- على بركة الله.

ولم يمضِ أسبوع واحد حتى كان يجلس في منزل الفتاة التي اختارها، وهي تجلس أمامه صامتة، وإلى جوارها والداها اللذان رحبا به في حرارة، وابتسما في ارتياح وهو يؤكد أنه سيتكفل بكل المصروفات من الألف إلى الياء، ثم أعلن الأب موافقته بلا تحفظ، وشدَّ على يده وهما يقرآن الفاتحة، في حين أطلقت أم العروس زغرودة قوية مجلجلة وكأنها تعلن خبر الزواج للحي بأكمله.

أما العروس نفسها فقد بدت ساهمة واجمة وكأنما باغتها الأمر أو لم ينل رضاها..

وعندما صارح أمه بهذا وهما في طريق العودة قهقهت ضاحكة وقالت:

- كلهن هكذا، إنها تراك لأول مرة، والخجل يعقد لسانها.

وقنَع بهذا التفسير وهو يرقد في فراشه مبتسمًا، ويهنئ نفسه على الفوز بتلك الساحرة التي فتنت قلبه منذ اللحظة الأولى.

وفي صباح اليوم التالي بدأ يشاهد معارض الأثاث، ويتفقد قاعات الأفراح في الفنادق الكبرى و...

وفجأة وقع بصره عليها..

خطيبته الشابة الفاتنة، وشاب في مثل عمرها.

كانا يجلسان حول مائدة صغيرة في حديقة مطلة على النيل، وهي تبكي في مرارة وحرارة، وهو يحدّق فيها ذاهلًا مصدومًا.

وفهم فكري كل شيء من النظرة الأولى.. فهم ما يعنيه هذا المشهد.. بل رأى جزءًا منه..

لم يكن أحد الجالسين حول المائدة، بل كان ذلك المقاول الذي انتزع منه هبة..

وفي المساء نفسه زار فكري خطيبته وأعلن لها أنه رآها مع حبيبها، وقبل أن تفرغ شرح لها أن هذا لم يؤذه، وأنه يفهم موقفها، بل وطالبها بأن ترسل الشاب للعمل في شركته بمرتب ضخم يتيح لهما الزواج وتأثيث منزلًا مناسبًا.

وبكت الفتاة بين يديه وهي تشكر له شهامته ورجولته وكرمه.

وغادر هو منزلها يبتسم في ارتياح.

وحضر إليه الشاب بالفعل وألحقه بالعمل، وساعدهما على الزواج، وكان شاهد العقد في حفل زفافهما.

ولكنه لم يفكر بعدها في الزواج قط..

لقد اكتفى بذلك الشعور الذي ملأ كيانه كله فانزاحت عنه كل المشاعر الأخرى.

شعور التائه..

يوميات آخر البشر

أول يناير عام ٢٣٠٧ م

اليوم تمر سبع سنوات على الحرب الشاملة التي اندلعت مع أول أيام عام ٢٣٠٠ وانتهت في الخامس من يناير من العام نفسه.

خمسة أيام فحسب استغرقتها الحرب الرهيبة التي فاقت أبشع الحروب التي قرأنا عنها ورأيناها على شاشات الكمبيوتر المجسم، وأكثرها هولًا ودمارًا منذ بدأ التاريخ المدوَّن.

ويا لها من ذكرى!

كان العالم قد نسي الحروب أو تناساها منذ تلك الحرب العالمية الثالثة التي دارت عام ٢١١٤ بين ما يعرف باسم الولايات المتحدة الأمريكية ودولتيّ ألمانيا و اليابان، ولقد قرأت في كتب التاريخ في طفولتي أن هذه الولايات الأمريكية كانت قد هزمت

الدولتين الأخريين فيما عرف باسم الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م، وسيطرت عليهما عسكريًا واقتصاديًا بالتعاون مع إنجلترا وفرنسا ودولة ثالثة لست أذكر اسمها حاليًا، فهو طويل ومعقد ولا وجود له في كتب التاريخ منذ زمن بعيد، المهم أن ألمانيا و اليابان صمتتا و صمدتا طويلًا، وراحتا تبنيان اقتصادهما رويدًا رويدًا، في حين انشغل الاتحاد الأمريكي بالسيطرة على العالم، والقيام بعدد لا حصر له من الدسائس والمؤامرات، وخوض حروب قصيرة وسريعة كمحاولة لإخضاع العالم كله لِما أسماه بالنظام العالمي الفريد أو الجديد، لست أذكر، ويقال إنه نجح في ذلك إلى حد ما، إلا أنه استيقظ فجأة من حلمه الاستعماري العدواني ليجد ألمانيا و اليابان على قمة العالم، وتؤازرهما كل دول جنوب شرق آسيا والاتحاد العربي و أستراليا، وحتى دول أوروبا و أمريكا الجنوبية..

وثارت ثائرة الاتحاد الأمريكي..

واندلعت الحرب العالمية الثالثة..

لقد أشعلها الاتحاد الأمريكي دون أن تساوره ذرة واحدة من الشك في أنه سيحسم الحرب لصالحه خلال شهر أو شهرين على

الأكثر ما دام يمتلك كل أسلحة القوة والدمار، ويحتكر كل الأسرار..

ثم انتبه فجأة إلى أنه واهم..

وكُشف أنه لا يستند إلا لقشرة واهية لم تلبث أن انهارت مع انخفاض المستوى الاقتصادي بعد شهر واحد من الحرب، واتضح أنه لا يمتلك سطوة حقيقية، بل أصبح مجرد كيان هشّ نخره سوس الفساد والانحلال والأنانية والغرور..

وانهار الاتحاد الأمريكي..

انهار من الداخل قبل أن ينقضّ عليه الماردان الياباني والألماني، ويحطّمان ما تبقى منه بضربة واحدة بفضل الحزم الألماني الأسطوري والتكنولوجيا اليابانية المذهلة التي أبطلت عمل كل الأسلحة النووية الأمريكية قبل حتى أن تنطلق من قواعدها.

وانمحى من التاريخ اسم الولايات المتحدة الأمريكية كما انمحى من قبلها اسم تلك الإمبراطورية الأخرى في شمال شرق آسيا وغيرها وغيرها.

وبقيت ألمانيا و اليابان..

وبدأ عهد جديد..

عهد ساد فيه السلام والوئام، وأطلّت منه عظمة الإنسان وروعة الطبيعة، وتجلّى الخالق - عزّ و جل - في محبة البشر لبعضهم، ومعاونتهم للضعفاء والمحتاجين و...

وتصوّر الجميع أن الحال سيبقى هكذا إلى الأبد.

ولكن هيهات..

لقد تطوّرت ألمانيا بشدة وصعدت أسهم اليابان إلى عنان السماء، ولم تعد إحداهما ترضى بنصف العالم، بل راحتا تخططان للسيطرة على الكل لا الجزء.

وعندئذ وقت الحرب الشاملة.

كان من الممكن أن يطلق عليها اسم الحرب العالمية الرابعة لولا أنها كانت رهيبة مخيفة هائلة، شاب لها الوليد في بطن أمه قبل أن يلقى كلاهما مصرعه بسبب تلك الأشعة المرعبة، والفيروسات المخلّقة التي نشرها كل من الطرفين في سماء العالم.

وتساقط الملايين والملايين، واتسعت ابتسامة الموت لتبتلع العالم كله في سويعات معدودة.

وكانت النهاية مذهلة.

لم تعد هناك ألمانيا..

ولم تعد هناك اليابان..

الجميع عصفت بهم الحرب وأسقطتهم كالهشيم تحت الضربات القاسية للنار والفيروسات الرهيبة التي أطلقوا عليها اسم ت.ا.ب.ر، أي تدمير الأجساد بلا رحمة.

كان يكفي أن يتسلل الفيروس إلى دمك حتى تتساقط أطرافك رويدًا رويدًا كما لو كانت أغصانًا ذابلة جافة في خريف شَرِه.

وعلى الرغم من أن الحرب الفعلية لم تستغرق سوى خمسة أيام إلا أن الضحايا راحوا يتساقطون بالملايين عبر العامين التاليين.

والآن لم يعد هناك سواي.

تســاقطوا جميعًا من حولي حتى وجدت نفســي فجأة أدفن آخرهم وأبقى وحيدًا..

ولست أدري حتى لماذا لم ألحق بهم؟

التفسير الوحيد الذي سمعته في هذا الشأن هو أنه هناك عامل ما في دمي يمنع ذلك الفيروس اللعين من الســيطرة على جســدي وتدميره، يوم علموا هذا قالوا أنني محظوظ، وأنه لو كانت هناك أدوات باقية من تلك التي ابتكرها العلم يومًا ودمرتها أشعة الفساد خلال الحرب الشــاملة لكانت هناك فرصــة لإنقاذ من تبقى حيًا بواسطة مصل يُصنع من دمي أنا.

ولكن أحدًا لم يفعل هذا..

وأحدًا لم يبقَ!

أنا الآن وحيد بائس بلا رفيق أو أنيس..

ولكنني لن أستسلم لهذا..

سأبحث عن أحياء آخرين..

سأبحث عنهم في كل مكان..

لا بد أن يتبقى أمل في البقاء..

أمل واحد.

* * *

السابع من مارس عام ٢٣٠٧ م

لم يعد هناك أمل..

أكثر من شـــهرين كاملين وأنا أجوب كل المناطق المحيطة بي دون أن أعثر على أثر واحد للحياة.

ملايين الجثث تملأ الشوارع والطرقات.

أنهارٌ من الدموع سكبتها عينيّ بلا جدوى.

لقد أصبح الأمر واضحًا.

أنا آخر من تبقى على وجه الأرض..

آخر البشر.

ويا له من لقب!

ويا لها من مفارقة عجيبة!

عندما أنجبتني أمي أطلقت عليّ اســم آدم تيمنًا بســيدنا آدم أول البشــر دون أن تدرك أو حتى يدور بخلدها لحظة واحدة أن الذي حمل اسم أول البشر سيكون بدوره آخر البشر.

وربما هي حكمة إلهية.

من يدري؟

لم أعد حتى أفكر في الأمر أو أحاول فلسفته، بل لم أعد أشعر بأدنى جدوى لهذا.

إنني أتساءل، لماذا أكتب هذه اليوميات؟

من سيقرأها بعدي؟

تُرى هل تندثر كما اندثرت البشرية والحضارة؟ أن تأتي يومًا مخلوقات من كواكب أخرى فتعثر على هذه اليوميات وتتخذ منها ركيزة لإثبات أنه كانت توجد حياة عاقلة على ســطح هذا الكوكب يومًا ما؟

عجبًا! ما زال تفكيري خياليـًا!

ما زلت أشعر، أشغل عقلي بالمستقبل!

ما شأني أنا بما سيحدث غدًا؟

إنني لن أحيا للغد، ولن أراه..

هذا ما اعتزمته.

أعرف أن الانتحار كفر وجريمة ترفضها كل الشرائع والأديان، ولكنني لم أعد أحتمل الحياة في ظل هذه الوحدة البائسة اليائسة.

لقد قررت الصمت والاستسلام والامتناع عن الطعام والشراب حتى ينهار جسدي وألحق بمن سبقوني.

لم يعد هناك أمل في الحياة..

الوداع.

* * *

الثالث والعشرون من مارس عام ٢٣٠٧ م

لو قُدّر لشخص ما أن يقرأ هذه اليوميات فسيتهمني حتمًا بالتقاعس والتفاهة وانعدام الشخصية لأنني بقيت على قيد الحياة، ولكنني لم أستطع الانتحار.

لم أحتمل فكرة الموت كافرًا بعد حياة طويلة راعيت فيها كل ما أمر به الله - سبحانه وتعالى - وأحجمت عن كل ما نهى عنه.

إنني لم أتوقف قط عن الصلاة حتى بعد أن هلك كل ما حولي، صرت وحيدًا في العالم أجمع على الرغم من كل ما ملأ نفسي من يأس وأسى..

ولكنني فقدت الأمل..

الأمل في أن تستمر الحياة على الأرض، ربما تستمر حياتي أنا لأعوام وأعوام قد تقصر أو تطول، ولكنني في النهاية سألقى حتفي، وتختفي الحياة عن وجه الأرض.

الحشرات وحدها سترث الكوكب كله..

إنها المخلوقات الوحيدة التي لم تتأثر بالإشعاعات القاتلة أو الفيروسات المميتة.

وكذلك النباتات..

والفاكهة بالتحديد..

وهذا ما أبقاني على قيد الحياة.

ولكن مَن يرغب في الاستمرار؟!

إنني أدعو الله في كل صلاة أن تنفرج أزمتي وتنتهي وحدتي في هذا العالم، ولكن يبدو أنه لا يستجيب لدعائي قط! فما زلت على قيد الحياة أتمنى الموت في كل لحظة فلا أجده.

ولكن.. لحظة..

هناك شيء يتحرك خلف تلك الأشجار البعيدة.

جسد شبه بشري اختفى بسرعة بين الأغصان الكثيفة.

لقد رأيته..

مستحيل!

سأذهب للبحث عنه..

ربما كان هناك أمل..

ربما..

* * *

الرابع والعشرون من مارس عام ٢٣٠٧ م

عثرت على حياة

فتاة في العشـــرين من عمرها تقريبًا، فاقدة للذاكرة، تحيا مثلي على النباتات والفاكهة، ولا تذكر من أمرها شيئًا.

ربما أصابتها صدمة نفسية شديدة محت ذاكرتها، وحطمت معنوياتها على هذا النحو.

ولكنها صحيحة جسديًا.

ذلك الفيروس القاتل فشل في القضاء عليها أيضًا..

ربما تحمل في دمها نفس العنصر المناعي الذي أنقذني أيضًا!

وعندما عثرت على حياة كانت خائفة مذعورة، لم تصـــدق مثلي وجود بشـــري آخر على قيد الحياة، وبذلت أنا جهدًا خرافيًا لتهدئتها وإقناعها بأنني لا أقصد بها شرًا.

وأطلقت عليها اسم حياة.

كان من المفترض أن أسميها أمل لأنها بعثت الأمل في نفسي، ولكنها بدت لي أشبه بالحياة.

حياة جديدة تطل عليّ من عينيها ووجهها الصّبوح.

نعم، إنها حياة..

حياتي وحياتها..

وحياة البشر على الأرض..

* * *

الثالث من يناير عام ٢٣٠٨ م

اليوم أتت أمل.

أول مولود في العالم الجديد بعد الحرب الشاملة.

وبعد شـــهر أو شـــهرين ســـيأتي مولود آخر بعد عثورنا على حامد و أمنية اللذين نجيا أيضًا من الفيروس القاتل.

وغدًا ربما نعثر على آخرين وآخرين.

وعندما تضع أمنية حملها أتمنى أن يأتي ذكرًا حتى أجد زوجًا لابنتي أمل بعد عدة سنوات.

وربما أنجبت هي ابنة، وأنجبت زوجتي حياة ابنًا فيما بعد.

المهم أن اليأس لم يعد يعرف طريقه إلى مجتمعنا الصغير.

سنعيد بناء الأرض والحضارة.

ربما كانت أمامنا آلاف السنوات لنبلغ ما كنا عليه من قبل، ولكن جيلنا سيبذل قصارى جهده، ثم يسلم الراية للجيل الذي يليه وهكذا..

والمهم أنني لم أعد آخر البشر..

لقد أصبح هناك آخرون..

وسيبقى الأمل..

سيبقى إلى الأبد.

الفهـرس

فضاء ينادى ٧

هناك ٢١

الباب الخلفي ٣٣

الخطأ ٤٩

جنون ٦١

ابنة الجيران ٧٥

حضارة ٨٧

الغزو ٩٩

أبدًا ١١٥

القاتل ١٢٩

لمسة ١٤٣

التائه ١٥٧

يوميات آخر البشر ١٦٩